



ملخص

الثقافة الإسلامية

المستوى الثاني

إعداد وتنسيق

المكتبة الشاملة لطلاب اللغة الإنجليزية

جامعة الملك عبد العزيز

www.kaues.org

الْفَضِيلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

التشريع الإسلامي : خصائصه ومقاصده

الوحدة الأولى: التشريع الإسلامي وخصائصه

تعريف التشريع

التشريع لغة: وتطلق الشريعة في اللغة على أمرين:

الأول: مشرعة الماء، وهي مورد الماء الجاري الذي لا ينقطع ويرده الناس فيشربون ويستقون بسهولة ويسر دون الحاجة إلى الاستسقاء بالدلاء.

الثاني: الطريق الواضح، يُقال: شرعت أو أشرعت له طريقاً، إذا أنفذته وفتحت له وجعلته واضحاً مستقيماً لا عوج فيه. قال تعالى:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١)

التشريع الإسلامي في الاصطلاح: ما سنّه الله وافترضه على عباده من العادات، والأخلاق، والمعاملات، ونظم مجالات الحياة المختلفة.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

١. أن الأحكام الشرعية كشريعة الماء في ظهورها: فهي واضحة لا لبس فيها.
٢. أن أحكام الشريعة كشريعة الماء في كونها دائمة لا تنقطع.
٣. أن أحكام الشريعة سهلة ميسرة لا مشقة في العمل بها ولا عنت.
٤. أن أحكام الشريعة تهدي الناس إلى فعل الخير وإقامة العدل، وتنهاهم عن فعل الشر والوقوع في الظلم.

خصائص التشريع الإسلامي

- | | | | | |
|--------------|----------------------------|-------------------|----------------|-----------|
| (١) ربانيته | (٢) صلاحيته لكل زمان ومكان | (٣) ثباته ومرونته | (٤) شموله | (٥) كماله |
| (٦) أخلاقيته | (٧) واقعيته | (٨) تكامل أحكامه | (٩) يسر أحكامه | |

١. ربانيته: التشريع الإسلامي هو التشريع الوحيد في العالم اليوم الذي مصدره كلام الله المصون عن التحريف والتبديل والمعصوم من الخلل والزلل. قال تعالى:

﴿كِتَابٌ أُوحِيَتْهُ ثُمَّ نُفِصَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾

والتشريع في الإسلامي حق خالص لله تعالى، وليس لأحد غيره أن يشاركه فيه.

٢. صلاحيته لكل زمان ومكان: التشريع الإسلامي ثابت على مر الدهور والأيام، وصالح لكل زمان ومكان.

٣. ثباته ومرونته: من خصائص التشريع الإسلامي أنه جمع بين الثبات والمرونة، حيث نجد هذا التشريع الرباني رغم ثبات أصوله إلا أنه غير جامد ولا متحجر، ولا يقصر عن استيعاب ما استجد في حياة الناس في كل عصر.

♦ أنواع الأحكام في التشريع الإسلامي:

١. الأحكام الثابتة: وهي التي لا تقبل التبدل ولا التغيير. وهي التي جاءت مفصلة ومبينة في القرآن الكريم أو في السنة المطهرة على سبيل القطع، ومن أمثلتها:

(أ) **صفة العبادات:** صفة الوضوء أو التيمم، صفة مواقيت الصلاة، والصوم، والحج.

(ب) **المقدرات الشرعية:** عدد الركعات، أنصبة الزكاة، عدد الأرامل والمطلقات، مقادير العقود في الحدود.

٢. الأحكام المتغيرة: وهي التي جاءت في القرآن الكريم والسنة المطهرة كمبادئ وقواعد عامة دون تفصيل، وذلك أن هذه المبادئ والقواعد ثابتة لا تختلف المصلحة فيها باختلاف الأزمنة والأمكنة، ولكن تختلف صورها وتطبيقاتها، ومن الأمثلة عليها:

(أ) **صور وتطبيقات مبدأ الشورى في الحكم:** فمن ذلك ما أمر الله به نبيه محمد ﷺ في قوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١)، وكذلك ما ورد من ثناء الله على المؤمنين لقيامهم بذلك في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٢).

(ب) **صور وتطبيقات مبدأ العدالة والمساواة في القضاء:** حيث أمر التشريع الإسلامي بتحقيق هذا المبدأ عند الفصل بين الأقربين والأبعدين، والمسلمين والكافرين، والأصدقاء المحبين والأعداء الكارهين، فقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ

بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٣)

٤. **شموله:** شرع الله الإسلام ديناً كاملاً، شملت فيه تعاليم الكتاب والسنة جميع جوانب حياة الإنسان، ولذا يقول تعالى مخاطباً نبيه ﷺ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨)

حيث نجد التشريع الإسلامي اشتمل على الجوانب التالية:

الأول: جانب الاعتقاد: حيث بيّن الشرع الأحكام المتعلقة بالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

الثاني: جانب الأخلاق: حيث بيّن الشرع مكارم الأخلاق، وحث عليها، ورغب فيها، وأمر بالتزامها والتعامل بها، ونوّه بثمراتها ومنافعها، وحذّر من مساوئ الأخلاق ورذائلها.

الثالث: جانب الأحكام العملية المتعلقة بأقوال الإنسان وأفعاله: فهي تنظم علاقة الإنسان بغيره، وتنقسم هذه الأحكام بحسب ما تتعلق به إلى قسمين .

١. **العبادات :** وهي التي تنظم علاقة الإنسان بربه، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج .

٢. **المعاملات:** وهي التي تنظم علاقة الإنسان بغيره من الناس، في جميع جوانب حياته، فمنها:

- أحكام الأسرة من نكاح وطلاق ونفقة ونحو ذلك (قانون الأحوال الشخصية)
- أحكام المعاملات المالية من بيع وإجارة وشراكة ووكالة وكفالة ونحو ذلك (القانون المدني)
- أحكام القضاء والدعاوى والبيّنات والشهادة ونحو ذلك (قانون المرافعات)
- أحكام معاملة غير المسلمين المستأمنين في الدولة الإسلامية (القانون الدولي الخاص)
- أحكام الحرب والسلم بين دولة الإسلام وغيرها (القانون الدولي العام)
- أحكام نظام الحكم وقواعده وحقوق رعايا الدولة المسلمة (القانون الدستوري)
- أحكام الحدود والقصاص والعزيرات على الجرائم (القانون الجنائي)

٥. **كماله:** التشريع الإسلامي جمع بين بالإضافة إلى شمولية تشريعه الذي يستوعب جميع مناحي الحياة الكمال الذي لا نقص فيه.

وعند التأمل في التشريع الإسلامي لأي قضية من القضايا نجد أن هذا التشريع هو التشريع الكامل الذي يحتاجه البشر والذي لا يصلحهم غيره ولا ينفعهم سواه،

وذلك أنه منزل من عليم خبير لطيف بخلقه، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠١)

٦. **أخلاقيته:** يمتاز التشريع الإسلامي برعايته الآداب ومكارم الأخلاق في كافة مجالات الحياة، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١٠٢) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا

الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١٠٣) وقال ﷺ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَعْمَالِ".

ويمكن أن نبرز هنا الجانب الأخلاقي في التشريع الإسلامي من خلال كثير من المقارنات، فمن ذلك:

أ) أن التشريع الإسلامي أنزله الله ليرقى بما انحط من أخلاق الناس، وليقوم ما اعوج من سلوكهم.

ب) أن التشريع الإسلامي تعدى تقويم سلوك الإنسان الاجتماعي إلى تقويم سلوكه الفردي.

ج) أن التشريع الإسلامي لم يقتصر على تدعيم الأخلاق في سلوك الإنسان الاجتماعي مع غيره من البشر، بل تجاوز ذلك إلى تنظيم سلوكه مع الحيوان.

٧. **واقعيته:** يختص التشريع الإسلامي بأنه تشريع واقعي، إذ لم تمنعه مراعاته المثل والآداب، ومكارم الأخلاق من أن يراعي واقع الحياة، بل واجه مشكلات الحياة على

صعيد الفرد أو الأسرة أو المجتمع، وشرّع لهم من الأحكام ما فيه علاج لواقعهم.

ومن الأمثلة على ذلك: أ - مراعاة الواقع في التشريع الإسلامي فيما شرّعه من الأحكام مراعيًا فيها ما فطر الإنسان عليه من الشهوات والغرائز: ذلك أن محاربة

الغرائز الإنسانية لا تحقق السمو الروحي، وتعذيب الجسد وحرمانه من حاجاته الطبيعية لا يؤدي إلى الصفاء النفسي.

ب - مراعاة الواقع في التشريع الإسلامي فيما شرّع في التفريق بين الزوجين بالخلع أو الطلاق.

ج - مراعاة الواقع في التشريع الإسلامي في أحكام الحدود والقصاص.

٨. **تكامل أحكامه:** إن المتأمل في أحكام التشريع الإسلامي يجدها تشكّل في مجموعها عقدًا منظومًا من اللاتئ والدُرر، غايتها تحقيق مصالح العباد وسعادتهم في

الدنيا، والوصول إلى رضوان الله سبحانه وتعالى في الآخرة. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِّانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (١٠٤)

٩. **يسر أحكامه:** من أبرز خصائص التشريع الإسلامي يسر أحكامه وسماحته، فلا مشقة فيه ولا حرج، قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ

وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٠٥) وقد ظهرت السماحة واليسر في التشريع الإسلامي في مظاهر شتى، فمن ذلك:

أ) أن التشريع الإسلامي لم يكلف الناس بما لا يطيقون أو بما يوقعهم في الحرج، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

(ب) أن التشريع الإسلامي راعى الظروف التي قد تطرأ على الإنسان: كالمريض، والسفر، والبرد، والمطر، والإكراه، والخطأ، والنسيان ونحو ذلك، فشرع الإسلام عند ذلك أنواع من التخفيف، فمن ذلك:

- تخفيف الإسقاط: مثل إسقاط فريضة الحج لغير المستطيع، وإسقاط الصلاة المفروضة عن المرأة الحائض.
- تخفيف التقييد: مثل قصر الصلاة الرباعية للمسافر.
- تخفيف الإبدال: مثل إبدال الوضوء بالتييمم عند فقد الماء أو مشقة استعماله.
- تخفيف التقديم: مثل تقديم زكاة الفطر قبل العيد بيوم أو يومين.
- تخفيف التأخير: مثل تأخير الصلاة عن وقتها في حق المشتغل بإنقاذ غريق أو إطفاء حريق.
- تخفيف الترخيص: مثل الترخيص في أكل الميتة عند المجاعة أو الضرورة.

الوحدة الثانية: مقاصد الشريعة

تعريف المقاصد

المقاصد لغة: جمع مقصد، ومن معانيها:

١- إتيان الشيء: تقول: قصدت الشيء بمعنى: طلبته، وقصدت له: توجهت إليه عامداً.

٢- استقامة الطريق: يقال: قصد الطريق قصداً، أي: استقام.

٣- الاعتدال والتوسط.

المقاصد اصطلاحاً: الغايات والحكم التي وضعها الشارع الحكيم عند كل حكم من أحكام الشريعة لتحقيق مصلحة العباد.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي: تظهر من الوجوه اللغوية الثلاثة معنى القصد: فإن مقاصد الشريعة هي: ما طلبته الشريعة وشرعت لتحقيقه أحكامها المستقيمة المعتدلة المتوازنة.

ارتباط التشريع الإسلامي بمقاصده: أساس الشريعة ومبناها على العدل ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، فهي ليست من الشريعة.

مراتب مقاصد التشريع:

أولاً: المقاصد الضرورية: وهي المصالح التي لا بد منها في قيام أمور الدين والدنيا للجماعات والأفراد، بحيث إذا فقدها الفرد بلغ حد الهلاك أو قاربه، وهي لا تخرج عن حفظ الكليات الخمس.

ثانياً: المقاصد الحاجية: وهي المقاصد التي يحتاجها الناس من حيث التوسعة، وإذا ما فقدت وقع الناس في الحرج والمشقة.

ثالثاً: المقاصد التحسينية: وهي المصالح التي تقتضيها مكارم الأخلاق ومحاسن العبادات، وإذا فقدت في المجتمع لم يختل نظامه.

الكليات الخمس الكبرى: (١) حفظ الدين (٢) حفظ النفس (٣) حفظ العقل (٤) حفظ النسل (٥) حفظ المال

وتتمثل المحافظة على هذه الكليات في أحكام التشريع الإسلامي من جانبين:

١- جانب الوجود: وهي الأحكام الشرعية التي جاءت بما يثبت قواعد هذه الكليات ويقيم أركانها.

٢- جانب العدم: وهي الأحكام الشرعية التي جاءت بما يحمي هذه الكليات ويدفع عنها الاختلال.

(١) حفظ الدين: وهو أهم الضروريات الخمس، ولا صلاح للبشرية ولا للدنيا متى ضُيع الدين فيها، وقد شرع الإسلام لحفظ هذا المقصد ما يلي:

١- حث التشريع الإسلامي على التعلم والتعليم، والدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- نهى الشريعة عن الشرك والكفر والفسق والإثم، وأمرت بالإتباع، وحذرت من الإبداع، وشرعت الحدود والتعزيرات والكفارات، ردماً لمن قارب شيئاً.

(٢) حفظ النفس: كرم التشريع الإسلامي حيث قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَحْشِ وَالْبَحْرِ وَزَوَّجْنَاهُمْ مِنْ آلِ طَيْبَاتٍ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ ﴿٧﴾ ومما يوضح ذلك ما يلي:

١- إباحة ارتكاب المحظورات في سبيل حفظ النفس.

٢- تحريم القتل، والاعتداء بغير حق، والانتحار.

(٣) حفظ العقل: العقل وسيلة لفهم وإدراك الحقوق والواجبات، لذا دعت الشريعة للحفاظ عليه بما يلي:

١- جعلت الشريعة العقل من أهم شروط التكليف، ودعا إلى إعمال العقل وذك تعطيله.

٢- تحريم الخمر وكل أنواع المسكرات، قليلها وكثيرها، وتشريع حد شرب الخمر حفاظاً على العقل.

(٤) حفظ النسل: لأنه سبيل بقاء البشر، ومما شرعه الإسلام لذلك ما يلي:

١- تشريع النكاح طريقاً للمحافظة على النسل، وتشريع أحكام الأسرة بما يكفل النشأة الصالحة للأولاد.

٢- تحريم الزنا: وسد الذرائع الموصلة إليه، فأمر المؤمنون رجالاً ونساءً بغض النظر وحفظ الفرج، وتم تشريع حد الزنا لمرتكبيه، وتم تعظيم شأن العرض بتشريعه لحد القذف.

(٥) حفظ المال: أنه ضرورة لا غنى عنها للإنسان في حياته ومعاشه، لذا شرع الإسلام ما يحفظه كما يلي:

١- شرع الإسلام تملك المال وحث على تكسبه من الوجوه الطيبة المباحة، وحرم أكل مال الغير بغير حق، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾

٢- أمر الإسلام بحفظ المال، ونهى عن إضاعته والإسراف في إنفاقه، فقال تعالى: ﴿وَأَتِذَا الْقَرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَآتَى السَّبِيلَ وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾
﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾

٣- شرع الإسلام حدَّ الحرابة وحدَّ السرقة، حفاظاً على أموال الناس، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۚ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

الفصل الثاني

المصدر الأول: القرآن الكريم

الوحدة الأولى: مدخل إلى القرآن الكريم

تعريف القرآن الكريم: لغة: القرآن مصدر الفعل: "قرأ" بمعنى: تلا، وجعل هذا المصدر اسماً للكلام المنزل على نبيينا محمد ﷺ.

واصطلاحاً: هو كلام الله، المنزل على نبيه محمد ﷺ، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي:

تعريف الحديث القدسي: لغة: نسبة إلى القدس - بضم الدال وسكونها - وهي نسبة تدل على التعظيم والتتزيه والتطهير.

واصطلاحاً: هو ما أضافه النبي ﷺ إلى الله تبارك وتعالى.

ويطلق عليه أيضاً الحديث الإلهي أو الحديث الرباني.

صفة الحديث القدسي: أن يقول الراوي فيه: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه، أو يقول الراوي: قال ﷺ: قال الله تعالى، أو يقول الله تعالى.

ومن الفروقات بين القرآن الكريم والحديث القدسي:

القرآن الكريم	الحديث القدسي
مُوحى بلفظه ومعناه من عند الله سبحانه	معناه من عند الله ولفظه من عند رسول الله ﷺ
لا تجوز روايته بالمعنى	تجوز روايته بالمعنى
لا تصح الصلاة إلا به	لا تجوز الصلاة به
متعبد بتلاوته ولقائه بكل حرف حسنة	لا يتعبد بتلاوته وثوابه عام كغيره من الأعمال الصالحة
يحرم على المحدث مسه وعلى الجنب تلاوته	يجوز مسه وقراءته للمحدث والجنب
منقول إلينا بالتواتر	فيه قليل من التواتر وكثير منه من رواية الأحاد
مقطوع بصحته ومحفوظ من التحريف والتبديل	فيه الصحيح والضعيف، بل والموضوع
مكتوب كله في المصاحف	كتب مع السنة النبوية

أسماء القرآن الكريم:

١- القرآن: وجاءت هذه التسمية لأن القرآن يُقرأ ويُتلى، وفيه إشارة لحفظه في الصدور.

٢- الكتاب: ٣- الفرقان: ووجه التسمية به لأنه فرق بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، والحلال والحرام، والخير والشر.

٤- الذكر: وسُمي بذلك لاشتماله على المواعظ والعبر، واشتماله على أخبار الأنبياء والأمم الماضية.

٥- النور: وسُمي بذلك لأنه يكشف الحقائق ويجلوها.

خصائص القرآن الكريم:

(١) خاتم الكتب والمهيمن عليها: القرآن آخر الكتب السماوية لأنه أنزل على محمد ﷺ وهو خاتم النبيين، واقتضت حكمة الله أن يكون شاملاً لجميع المحاسن في الكتب السابقة.

(٢) تكفل الله بحفظه: خصَّ الله القرآن الكريم بالحفظ وتكفل بذلك، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

(٣) شفاؤه للناس: جعل الله للقرآن خاصية عظيمة، وهي الشفاء من الأدوية، بل جعله عاماً ليشمل شفاء الأدوية المعنوية من علل النفوس وأمراض القلوب، إضافة إلى علل الأبدان، وهو علاج للأمراض الحسية كذلك.

(٤) شفاعته لأهله يوم القيامة: جعل الله نفع القرآن متعدداً الدنيا وأحوالها إلى الآخرة وأحوالها، يقول ﷺ: "أَفْرَأُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ"

الوحدة الثانية: ثبوت القرآن

الوحي: تعريفه وصوره

الوحي لغة: الإعلام الخفي السريع

الوحي اصطلاحاً: إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو بغير واسطة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ

وَرَأْيٍ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ

صور الوحي وأنواعه:

١- الرؤيا في المنام: رؤيا الأنبياء وحي.

٢- الإلهام أو القذف في القلب: أن يلقي الله ﷻ أو الملك المختص بالوحي في قلب نبيه ما يريد.

٣- تكليم الله ﷻ أنبياءه من وراء حجاب: قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ ، وكذلك حين كلم الله نبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج.

٤- أن يرسل الله تعالى جبريل ﷺ لأنه الملك المختص بالوحي.

نزول القرآن الكريم: أنواعه وحكمه

المراد بنزول القرآن الكريم: هو نزول جبريل ﷺ بالقرآن على النبي محمد ﷺ.

وقد كان القرآن موجوداً في اللوح المحفوظ قبل نزوله على نبينا محمد ﷺ.

اللوح المحفوظ: هو السجل العام الذي كتب الله فيه كل ما كان وما سيكون إلى قيام الساعة.

وللقرآن الكريم نزولان وهما:

النزول الأول: من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في شهر رمضان وفي ليلة القدر جملة واحدة.

النزول الثاني: على النبي محمد ﷺ مفرقاً في ٢٣ سنة حسب الأحداث والمناسبات، وقد استمر من بدء الوحي إلى النبي ﷺ وهو في سن ٤٠ سنة، إلى أن لحق بالرفيق الأعلى في ٦٣ من عمره ﷺ.

الحكمة من نزول القرآن مفرقاً

أولاً: تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتقوية قلبه: وقد أخذ هذا التثبيت عدة أشكال منها:

(١) نزول الآيات مسلية له ﷺ عما يلقيه من قومه، ونهاية إياه عن الحسرة عليهم أو الحزن لما يصيبهم.

(٢) نزول آيات تحثه ﷺ على الصبر والتحمل والثبات على ذلك، مع بيان أن العقابة له.

(٣) ذكر أخبار الأنبياء السابقين وما لاقوه من أقوامهم، وما آل إليه حال الأنبياء وأتباعهم من النصر والتمكين، مع الخزي والخسران للكافرين.

(٤) ذكر الأدلة والبراهين الدالة على صدق نبوته ﷺ مع البشارة له ﷺ بالنصر والظفر على الأعداء.

(٥) تثبيت قلوب أصحابه ﷺ وحثهم على الصبر والتحمل في سبيل ما يلاقونه من الكفار.

ثانياً: تيسير حفظ القرآن وفهمه وتدبر معانيه والعمل به: كان النبي ﷺ حريصاً على حفظ القرآن، حتى أنه كان يتعجل القراءة قبل فراغ جبريل ﷺ من قراءته؛ خشية أن يتقلت شيء منه، حتى طمأنه الله تعالى بتحقيق الحفظ له، ولا شك أن نزوله مفرقاً فيه تيسير لحفظه على النبي ﷺ وعلى الأمة من بعده.

ثالثاً: التدرج في تربية الأمة الإسلامية: نزل القرآن على هذه الأمة وكانت قد رسخت فيهم العقائد الباطلة والعبادات الفاسدة والعادات المنكرة، والنفس البشرية يشق عليها ترك ما تعودته مرة واحدة، فكان هذا النزول المفرق للقرآن رحمة من الله بهذه الأمة.

رابعاً: بيان حكم الله في الأحداث وقت الحاجة: كانت الأحداث تقع في المجتمع المسلم، ويحتاج الناس إلى معرفة حكمها الشرعي، وكانت الآيات تنزل للإجابة على أسئلتهم المتنوعة.

خامساً: بيان إعجاز القرآن الكريم وأنه حق منزل من عند الله تعالى: لقد كانت صفة نزول القرآن مفرقاً حسب الوقائع والأحداث وخلال فترة زمنية طويلة تشتمل على دلالات على إعجاز القرآن الكريم، وذلك من وجهين:

(١) أن القرآن الكريم اشتمل على الأحكام الدقيقة والإحاطة الشاملة بجميع الموضوعات.

(٢) أن القرآن الكريم نزل منجماً على رسول الله ﷺ في أكثر من ٢٠ عاماً.

أول وآخر ما نزل من القرآن الكريم:

أول ما نزل على النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ

الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾

وأخر ما نزل هو قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝﴾

جوانب ثبوت القرآن الكريم: لقد كتب الله سبحانه وتعالى للقرآن الحفظ والبقاء، فهو على مر الزمان ثابت ومحفوظ لم يتغير.

ويمكن توضيح ذلك من خلال جانبين أساسيين من جوانب الحفظ:

الجانب الأول : ثبوته بالحفظ والتلقين، عوامله وشواهده:

١) عناية النبي ﷺ بحفظ القرآن الكريم: لقد كان القرآن الكريم شغل الرسول ﷺ في حضره وسفره، في عسره ويسره.

وقد ظهرت عناية النبي ﷺ بالقرآن وحفظه في صور منها:

أ- معارضة جبريل عليه السلام بالقرآن الكريم في كل عام مرة في شهر رمضان المبارك.

ب- قراءة القرآن في الصلوات والتهجد به في الليل، والإطالة في القراءة.

ج- الاستماع من الصحابة .

د- تلاوته ﷺ على أصحابه ﷺ وتعليمه لهم، وسرورهم بتلك القراءة.

٢) عناية الصحابة ﷺ بالقرآن الكريم: كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه القرآن حفظه، ثم تلاه على أصحابه، فحفظه إياهم، وعلمهم كيف يحفظون الألفاظ ويفهمون

المعاني. وقد ظهرت عنايتهم بالقرآن الكريم في عدة أشكال منها:

١- حرصهم على أخذ القرآن الكريم من فم النبي ﷺ مباشرة، وتلقي القرآن منه ﷺ وسماعهم منه ﷺ، كما أنزل عليه.

٢- اجتماعهم على مدارس القرآن الكريم وحفظه.

٣- قيام الليل.

الجانب الثاني : ثبوته بالكتابة والتدوين، أدلته ومراحل:

احتاط النبي ﷺ والصحابة ﷺ لهذا الكتاب غاية الاحتياط، فلم يكتفوا بحفظه في الصدور فقط، بل كتبوه في الجلود والأكتاف.

وقد كتب القرآن الكريم ثلاث مرات، الأولى في عهد النبي ﷺ ثم في عهد أبو بكر الصديق ﷺ وأخيراً في عهد عثمان بن عفان ﷺ.

♦ مراحل كتابة القرآن الكريم:

١) كتابة القرآن في عهده ﷺ: كان للنبي ﷺ كُتاب للوحي بلغوا أكثر من ٤٠ كاتباً، وكان هؤلاء الكُتاب يكتبون ما ينزل من القرآن بأمر من النبي ﷺ.

وكانوا يكتبونه بين يديه ﷺ وكان يأمرهم بذلك.

٢) كتابة القرآن في عهد أبو بكر الصديق ﷺ: تم هذا الجمع في السنة ١٢ للهجرة بعد معركة اليمامة والتي استشهد فيها الكثير من الصحابة.

وصاحب الفكرة هو عمر بن الخطاب ﷺ، وذلك خشية من ضياع شيء من القرآن بسبب موت القراء في المعارك، والذي قام بكتابتها هو زيد بن ثابت ﷺ، وقد اعتمد

على زيد على حفظ الصدور الذي كان يحفظه صحابة الرسول ﷺ وكذلك ما كتب في عهده ﷺ.

٣) كتابة القرآن في عهد عثمان بن عفان ﷺ: تم هذا الجمع في السنة ٢٥ للهجرة، وكان صاحب الفكرة هو حذيفة بن اليمان ﷺ، وذلك بسبب اختلاف القراء في

القراءة، وقد قام بالكتابة أربعة من صحابة رسول الله ﷺ وهم: زيد بن ثابت، عبد الله بن الزبير، سعيد بن العاص، عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ﷺ.

وقد اعتمدوا في كتابتهم على المصحف المكتوب في عهد أبي بكر الصديق ﷺ.

تحريف الكتب السماوية: إن القرآن الكريم قد ثبت نزوله من عند الله سبحانه وتعالى وثبت أنه قد سلم من التحريف والتبديل، بخلاف الكتب السماوية السابقة

حيث تعرضت للتحريف والتبديل والتغيير لقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تَنَكَّرُفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

صور من التحريف:

١ - النسبة والمصدر: إن اليهود أو النصارى لا يستطيعون أن يجزئوا بأن ما بأيديهم الآن هو الكتاب المنزل على موسى أو عيسى عليهما السلام، فنحن لا نجد عندهم

(إنجيل الله) بل كل إنجيل منسوب إلى كاتبه، وهذه الحقيقة مقررّة بالسنتهم وشهاداتهم علمائهم. بينما نجد أن القرآن الكريم رباني المصدر، إلهي المنبع.

ب - المحتوى والمضمون: إن المحتوى الموجود في كتب أهل الكتاب الآن لا يعدو أن يكون مجرد سير وأخبار وقصص رواها أصحابها وكتبوها بطريقتهم الخاصة، حتى

إنه لا يمكن إطلاق اسم التوراة أو الإنجيل عليها إلا مجازاً، وتجدر الإشارة إلى أن بعض ما جاء فيها من القصص مُختلفة مكذوبة، وفي مقابل ذلك فإن المتمعن

المنصف في مضمون القرآن الكريم ولو كان غير مسلم ينبهر بما فيه من تشريع كامل مُحكم.

الوحدة الثالثة: مفهوم إعجاز القرآن الكريم

إعجاز القرآن الكريم:

لما كان بعض يجحدون ويكفرون بالرسول عليهم السلام، أيد الله الرسل بالمعجزات الباهرات التي تدل على صدق نبوتهم التي أرسلهم الله بها، وكان كل رسول يؤيد

بمعجزة حسية تناسب خصوصية رسالته ومحدوديتها زماناً ومكاناً وقوماً.

لقد ثبت للنبي ﷺ معجزات حسية عديدة كغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم، ومع ذلك كان لا بد لهذه الرسالة من معجزة تلائم طبيعتها، فتعدد وجوه

إعجازها لتقييم الحجة على الخلق كافة، وتستمر وتتجدد على مرّ الأيام، ولذا لم تكن المعجزة الكبرى الدائمة للمصطفى ﷺ معجزة حسية، كمعجزات الأنبياء من

قلبه، وإنما كانت معجزة معنوية خالدة ألا وهي القرآن الكريم كلام رب العالمين سبحانه وتعالى.

معنى الإعجاز:

معنى الإعجاز: إثبات العجز، والعجز هو: القصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة.

معنى إعجاز القرآن: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، أي نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله أو بسورة منه.

المقصود من الإعجاز:

الأول: إثبات أن هذا القرآن حقٌّ منزلٌ من عند الله تعالى .

الثاني: إثبات صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ وأنه رسول الله الذي أيده بهذه المعجزة الخالدة، فالقرآن دليل صدق على أنه كلام الله تعالى، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وأن الحجة قائمة وقاطعة بأنه ليس من قول المصطفى ﷺ ولا من قول غيره من البشر.

وجوه الإعجاز:

أولاً - الإعجاز البياني:

لقد كان العرب أرباب فصاحة وبلاغة، وفرسان قول وبيان، ولهذا كانت معجزة النبي ﷺ القرآن الكريم، وذلك لتكون المعجزة من جنس من جنس ما اشتهر به قومه، ولقد شهد هؤلاء الكفار البلغاء وأقرؤا بفصاحة القرآن وبلاغته، وأنه ليس من عند بشر، فقد فاقهم في ما جاء به.

والإعجاز البياني يتجلى في فصاحة القرآن وبلاغته:

الفصاحة: هي الظهور والبيان وخلو الكلام من التعقيد، وفصاحة القرآن كونه لفظاً قريباً مستعملاً مؤدياً للمعنى بوجه لا تعقيد فيه.

البلاغة: هي مأخوذة من البلوغ، وهو الوصول إلى الشيء والانتهاء إليه، والبلاغة هي: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة، وبلاغة القرآن إيصاله المعنى إلى قلب المخاطب بعبارة سهلة موجزة.

معنى الإعجاز البياني في القرآن الكريم: بلوغ القرآن الغاية العظمى في أداء المعاني ووضوحها بما يعجز البشر عن الإتيان بمثله.

مراحل التحدي: لقد تحدى النبي ﷺ العرب بهذا القرآن وكان التحدي منصّباً على أنهم غير قادرين على أن يأتوا بمثله بلاغة وفصاحة ودلالة، وقد عجزوا بالفعل، وقد تحداهم على ثلاث مراحل:

١- تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن كله: في فصاحته وبلاغته وسائر وجوه إعجازه، فقال الله تعالى: ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ

يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ فعجزوا عن ذلك.

٢- تحداهم أن يأتوا بعشر من مثله: قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّهٗ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ۝۱۰۱ فَاَلَمْ يَسْتَجِبُوْا لَكُمْ فَاَعْلَمُوْا اَنْمَآ اُنْزِلَ بِعِلْمِ اللّٰهِ وَاَنْ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ فَهَلْ اَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ ۝۱۰۲ ﴾ فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً.

٣- أخيراً نزل معهم إلى أدنى الدرجات فتحدهم أن يأتوا بسورة واحدة: قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ۝۱۰۳ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوْا وَلَكِنْ تَفْعَلُوْا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِيْنَ ۝۱۰۴ ﴾ ولكنهم عجزوا عن ذلك، فثبت بذلك معجزة القرآن الكريم.

وجوه الإعجاز البياني:

الوجه الأول: إيجاز اللفظ وسعة المعنى.

الوجه الثاني: دقة أداء الألفاظ للمعاني: إن كل كلمة في القرآن تؤدي معنى دقيقاً محدداً، ويكون هو الأبلغ والأفصح، وهو المقصود من الآية، فمن وجوه الإعجاز اختيار المكان المناسب للكلمة المناسبة.

الوجه الثالث: التناسب البليغ بين مضامين الآيات والأسماء الحسنی في خواتيمها: الآيات القرآنية التي خُتمت بأسماء الله الحسنی كثيرة جداً، ومن وجوه الإعجاز البياني أن كل اسم من الأسماء الحسنی خُتمت به آية من الآيات يكون هو الأنسب، وتكون الصلة بينه وبين المضمون والمعنى وطيداً، ويأتي مكملًا للمعنى بأبلغ صورة وأجمل لفظ.

ثانياً - الإعجاز العلمي:

الإعجاز العلمي يتناسب مع طبيعة العصر، وذلك من خلال إيراد القرآن للأدلة والبراهين العلمية عن خلق الإنسان، وخصائص الكون، وحقائق العلوم في آياته، حيث أن هذه الآيات قد جاءت في القرآن قبل ١٥ قرناً، وهي تشتمل على براهين وحقائق علمية لم يكتشفها العلم الحديث إلا مؤخراً.

معنى الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: هو إخبار القرآن الكريم بحقائق أكدها العلم الحديث، ثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ.

ضوابط في دراسات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

(١) **التسليم بأن القرآن كتاب هداية:** فهو هداية للناس إلى بارئهم للقيام بالدور الذي وُكِّل إليهم في عمارة الأرض، ولأداء المهمة التي خلُقوا من أجلها وهي: تحقيق العبودية الكاملة لله سبحانه وتعالى .

(٢) **الالتزام بالحقائق العلمية:** يجب الاقتصاد في شرح الآيات الكونية على الحقائق العلمية الثابتة بالقطع .

(٣) **اليقين باستحالة التضاد بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية:** وذلك لأنهما من مشكاة واحدة، لأننا نؤمن أن القرآن الكريم منزل من عند خالق السموات والأرض، والحقائق العلمية التي تكتشف هي من صنعة الحق سبحانه .

(٤) **الالتزام بدلالات وقواعد اللغة العربية:** إن القرآن عربي، وعليه فينبغي فهم نصوص القرآن وفق قواعد هذه اللغة وفي حدود ودلالات ألفاظها .

(٥) **معرفة ومراعاة مرونة الأسلوب القرآني:** إن الأسلوب القرآني في التعبير عن الآيات الكونية أسلوب خاص متميز بالروعة والإبداع، فهو يجمع بين البيان والإجمال حيناً، وبين الحقيقة والمجاز حيناً آخر .

هذا فضلاً عن كون القرآن ليس كتاباً علمياً يهدف في الأساس إلى الحقائق العلمية ويقتصر عليها، وإنما هو كتاب هداية والجوانب المعنوية فيه هي المقصد الأعظم، فلا ينبغي إهمالها والاقتصار على ما تدل عليه الحقائق العلمية فحسب.

نماذج من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم:

المثال الأول / أطوار خلق الجنين:

(١) **طور النطفة** : تُطلق في اللغة على الماء القليل، ولذا يُسمى كلُّ من مَنَى الرجل ومَنَى المرأة نطفة، وتذكر الآيات أن بدء الخلق يكون من (نطفة)

كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنَى يُمْنَى ﴾

(٢) طور العلقه :

أ - لفظه (علقه) مشتقة من (علق) ومعناه: الالتصاق والتعلق بشيء ما، وهذا ما يتوافق مع تعلق الجنين ببطانة الرحم خلال الأسبوع الثاني.

ب - يطلق العلق على الدم عامة، وعلى الدم الشديد الحمرة أو الغليظ أو الجامد.

ج - والعلقه في اللغة أيضاً دودة في الماء تمتص الدم، وتعيش في البرك، وتتغذى على دماء الحيوانات التي تلتصق بها.

(٣) **طور المضغة** : يبدأ الجنين خلال آخر يوم أو يومين من مرحلة العلقه في اتخاذ بعض خصائص المضغة، فتأخذ الفلقات في الظهور لتصبح معلماً بارزاً

لهذا الطور، فيتحوّل الجنين إلى طور المضغة في اليومين (٢٥ - ٢٦).

(٤) **طور العظام واللحم** : أخيراً يبدأ تكوين العظام ثم تُكسى باللحم، وهذا ما أثبتته الطب الحديث من أن تكون العظام يسبق تكون العضلات، ثم تكسو

العضلات العظام.

المثال الثاني / تكوين الجبال وفوائده:

قال الله تعالى: ﴿ وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا ﴾ ، وتشير هذه الآية إلى أن الجبال أوتاد للأرض، والتود يكون منه جزء ظاهر على سطح الأرض، ومعظمه غائر فيها، ووظيفته

التثبيت لغيره.

ونلاحظ أن العلماء اليوم يقسمون طبقات الأرض إلى سبع طبقات وهي:

١ - القشرة (بنوعها القارية والقشرة تحت المحيطات)

٢ - طبقة القشور التي تحت القشرة.

٣ - طبقة أثينوسفير.

٤ - طبقة الوشاح الأعلى.

٥ - طبقة الوشاح الأدنى.

٦ - طبقة النواة الخارجية السائلة.

٧ - طبقة النواة الداخلية الصلبة.

المثال الثالث / الحاجز المائية بين البحار.

ثالثاً - الإعجاز التشريعي:

خلق الله الإنسان، وجعله أشرف المخلوقات، واستخلفه في الأرض ليحقق الهدف الذي خلق له، وهو عمارة الأرض وعبادة الله فيها، ولما كان هذا المخلوق يحتاج إلى شيء يعرفه بأمره وينظم له شؤون حياته، وضع الله له تشريعاً معجزاً ينظم علاقته مع خالقه سبحانه ومع الخلق أجمعين.

ومعنى الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم: أنه يشير إلى أن التشريعات الإلهية التي وضعها الله سبحانه وتعالى للمجتمع البشري، تحقق له العدل والمساواة بين جميع الأفراد.

والناظر في هذا التشريع يُدرك أنه من أعظم الإعجاز في القرآن، وذلك لأسباب عدة منها:

١ - أن هذا التشريع جاء على لسان رجل أمي (محمد ﷺ).

٢ - أن التشريع الإسلامي شاملٌ للناس كافة.

٣ - أنه تشريع أثبت الواقع إمكانية تطبيقه، وأظهر عظمة فوائده.

رابعاً / الإعجاز الغيبي:

من وجوه الإعجاز للقرآن الكريم التي ذكرها العلماء: الإعجاز بما فيه من أنباء الغيب، ويقصدون كل ما كان غائباً عن النبي ﷺ ولم يشهد حوادثه، ولم يحضر وقتها، ولم يكن على علم بتفصيلاتها.

ويدخل في هذا المفهوم (الغيب) كل ما ورد في القرآن الكريم من غيب الماضي والحاضر والمستقبل مما لم يدركه النبي ﷺ.

ومعنى الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم: هو إخبار القرآن عن أحداث سابقة ومعاصرة وتالية لنزوله، لم يشهدها النبي ﷺ ولا سبيل إلى علمه بها، إخباراً دقيقاً صحيحاً، بما يعجز البشر عن الإتيان بمثله.

ومن أمثلة غيب الماضي (قصص الأنبياء)، ومن غيب الحاضر (ما كشفته آيات القرآن من حقائق المناقضين وأقوالهم وأفعالهم)، ومن غيب المستقبل (رؤيا النبي ﷺ بدخول المسجد الحرام) وأيضاً (ذكر القرآن انتصار الروم على الفرس)..

خامساً / الإعجاز النفسي:

معنى الإعجاز النفسي في القرآن الكريم: تنوع الخطاب القرآني بما يحيط بجميع مشاعر النفس البشرية المختلفة، ويلبي حاجاتها، ويعالج عللها، ويؤثر فيها، ويوجهها نحو الخير بما يعجز البشر عن الإتيان بمثله.

ولندرك حقيقة الإعجاز النفسي للقرآن فلنتأمل حال المسلمين في رمضان حين يقبلون على القرآن وأثره العظيم في نفوسهم من حب وعطاء، وطاعة وإيثار، فإذا جاءت ليلة ختم القرآن فانظر إلى تلك الوجوه المشرقة والنفوس المؤمنة والأعين الباكية من أثر القرآن، ذلك ما أُصطلح على تسميته بالإعجاز النفسي، وهو موضع عناية المسلمين.

الوحدة الرابعة: واجبنا نحو القرآن

إن القرآن الكريم لم ينزل لمجرد أن تصدح الأصوات به، وتطرب الأذان لحسن تلاوته، ولا أن تكتفي بحفظه في الصدور فحسب، بل لا بد من العمل به والدعوة إليه، وذلك يستلزم التدبر في معانيه، وفهم مرامييه، ومعرفة تفسيره، والعلم بأحكامه، وكل ذلك من واجبات الأمة المسلمة تجاه القرآن العظيم.

فلنعد إلى كتاب ربنا سبحانه حتى نتحقق لنا السعادة في الدنيا والآخرة، ولندرك ولنوقن أن حالنا لا يصلح إلا بالرجوع إليه والعمل به.

ومن واجباتنا نحو القرآن ما يلي:

أولاً : التلاوة والتجويد:

من واجباتنا تجاه القرآن تلاوته باستمرار، بحيث يكون لكل مسلم ورد يومي يقرأ فيه القرآن، والتلاوة هي البداية الأساسية لكل ما بعدها، ونوضحها في النقاط التالية:

التلاوة في القرآن والسنة

ورد الحث على التلاوة في الكتاب والسنة بوجود متعددة منها:

١- الأمر بالتلاوة: أمر الله رسوله ﷺ بتلاوة القرآن، والأمر له أمرٌ لأمتيه، بالتلاوة والتبليغ والتعليم، لكن تظل التلاوة هي المفتاح والبداية التي لا بد منها.

٢- الترغيب في التلاوة: جاء القرآن والسنة بالترغيب والحث على التلاوة من خلال ربطها بما تتعلق به نفوس المؤمنين من خير الدنيا وأجر الآخرة، ومن ذلك:

(أ) الأجر والمنزلة الأخروية: وعد الله الذين يتلون كتابه ويعملون به ويهتدون بهديه بالأجر العظيم والمنزلة الرفيعة في الجنة.

(ب) المنفعة والمكانة الدنيوية: إن طمأنينة القلب، وسكينة النفس، والراحة والسعادة إنما هي جزءٌ من ثمرات ومنافع التلاوة.

(ج) التهوين من شأن صعوبات التلاوة.

٣- ذم هجر القرآن وترك تلاوته: أول مراتب الهجر هو ترك التلاوة، فمن ترك التلاوة فإنه لن يتدبر ولن يفهم، وسيكون مدعاة لترك العمل والتهاون فيه.

التلاوة المطلوبة

١- قدر التلاوة: من المهم أن يكون للمسلم ورد يومي، بحيث لا يمر عليه يوم إلا وله فيه حظٌ ونصيب من تلاوة القرآن.

٢- إتقان التلاوة: ينبغي لقارئ القرآن أن يحرص على إتقان التلاوة، وذلك من خلال ما يلي:

(أ) التجويد والترتيل. (ب) التأني وعدم الاستعجال.

٣- آداب التلاوة: هي كثيرة ونذكر أهمها:

(أ) الإخلاص لله سبحانه وتعالى عند القراءة. (ب) الطهارة. (ج) الحرص على الطهارة المعنوية.

(د) تحسين الصوت بالقرآن. (هـ) الاستعانة عند ابتداء القرآن. (و) الخشوع والتدبر عند القراءة.

(ز) الوقوف عند آيات الرحمة وسؤال الله من فضله ونعيمه. (ح) البكاء عند القراءة.

(ط) الدعاء عند ختم القرآن. (ي) تفريغ النفس من الشواغل المانعة من التلاوة والتدبر.

ثانياً : الحفظ والتمكين

من سمات هذه الأمة أنها تحفظ كلام ربها، فمصحفهم في صدورهم، قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ .

وسنعرض هذه المسألة من خلال النقاط التالية:

١- الترغيب في حفظ القرآن: ورد في القرآن والسنة الحث والترغيب على حفظ القرآن الكريم بأساليب مختلفة، منها:

(أ) الوعد الرباني بتيسير الحفظ: من خصائص القرآن تيسير حفظه، لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ .

(ب) الأجر والمكانة العظيمة في الآخرة: الحفظ من أسباب رفعة الدرجات في الجنات، وحافظ القرآن له كرامة يوم القيامة يميّزه الله بها وإن تكريمه أيضاً يشمل والديه.

(ج) المكانة الاجتماعية الكبيرة لحافظ القرآن: في عصر النبوة ومجتمع الصحابة كان لحافظ القرآن منزلة عظيمة ومكانة رفيعة.

٢- ذم ترك حفظ القرآن: قال المصطفى ﷺ : " إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالييت الحرب "

٣- مقدار حفظ القرآن: حفظه له مرتبتان:

المرتبة الأولى: حفظ القرآن كاملاً، وهذا الأكمل والأفضل، وهي مرتبة عظيمة.

المرتبة الثانية: حفظ أجزاء معينة أو سور محددة، وهذا باب من أبواب الأجر والخير.

٤- أهمية مراجعة وتمكين المحفوظ من القرآن: إن حفظ القرآن عملٌ عظيم، وطاعة جليلة، لكن من المهم مراجعة المحفوظ.

ثالثاً : التدبر والتعلم

التدبر هو: التفكير الشامل الموصل إلى أواخر دلالات الكلام ومرامييه البعيدة.

ومعنى تدبر القرآن: هو التفكير والتأمل في آيات القرآن من أجل فهمه وإدراك معانيه، ومعرفة شرائعه وأحكامه، واليقين بها، والخضوع لها.

والتدبر المطلوب يشتمل على جملة أمور:

- ١ - معرفة معاني الألفاظ القرآنية ودلالاتها.
 - ٢ - فهم المعنى العام للآيات وسياقها، والتراكيب والجمل الواردة فيها.
 - ٣ - التأمل في براهين وحجج القرآن والاعتبار بها والاستفادة منها.
 - ٤ - التأثر القلبي باليقين والخشوع، واستجابة الجوارح بالامتثال والخضوع.
- وتدبر القرآن غاية عظيمة وهدف أساسي من تنزيله.
- واليك هذا الإيضاح المختصر في نقاط محددة:

التدبر في القرآن والسنة

١ (بيان الآثار المحمودة للتدبر: منها زيادة الإيمان، ورقّة القلوب ولينها وانتفاعها بذكر الله وكلامه، وإرواء ظمأ القلوب وسد حاجتها.

ب (مدح المتدبرين والثناء عليهم: ورد في القرآن مدح كثير وثناء كبير على المتدبرين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذَا تُلِّيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا بُكِيًّا ﴾ .

ج (ذم ترك التدبر: صور القرآن المعرضين عنه، والغافلين عن الاعتبار به بأقبح الأوصاف، وعرض ذكرهم في سياق أقبح الأفعال، وأسوأ الأحوال، وضمن صفات شرار الخلق.

صوارف التدبر:

إن التدبر يحتاج إلى استحضار القلب، واستجماع الذكر، وحسن الإصغاء، وهناك أسباب متعددة تصرف عن التدبر، ومن أبرزها:

- ١ (ارتكاب الذنوب والمعاصي.
- ب (التركيز على كثرة التلاوة.
- ج (انشغال الذهن والقلب.

الطريق إلى التدبر:

ربما نرى في تحقيق التدبر المطلوب فهماً للمعاني، وتأثراً بالمشاعر صعوبة، وذلك لأسباب كثيرة منها: ضعف اللغة العربية، وقلة العلم بالتفسير، فضلاً عن الانشغال بالدنيا، وشدة الغفلة وغير ذلك، وهذه خطوات يسيرة مقترحة تعين على حصول التدبر والوصول إليه:

- ١ (تخصيص ورد قرآني للتدبر.
- ب (القراءة المستمرة في تفسير معتمد مختصر.
- ج (تكرار التلاوة.

هـ - حضور مجالس التفسير: وذلك بحضور دروس التفسير وحلق تلاوة ومدارس القرآن مع أهل العلم والفضل؛ لم فيها من التذكير والتعليم والإعانة على التدبر والخشوع، وينبغي التأكيد على أن خطاب القرآن يخصنا وهو موجه لنا، فالقرآن رسالة الله لنا وفيه شفاء قلوبنا، وتصحيح مسارنا، وصلاح أحوالنا.

رابعاً : العمل والتخلق

حافظ القرآن والتألي له ليس كغيره من الناس، بل هو أشرف الناس؛ لهذا ينبغي أن يكون متميزاً بهذا القرآن الذي حفظه.

وهذه نقاط مختصرة توضح أهمية العمل بالقرآن:

١ (العمل بالقرآن في الكتاب والسنة:

أ - الربط بين تلاوة القرآن والعمل به: أمر مولانا سبحانه وتعالى عبادة بالعمل بهذا القرآن والمبادرة إلى ذلك، وربط بين التلاوة والعمل، وأن العمل هو الجوهر واللب، وأنه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتلاوة.

ب - تعظيم المدح والثواب بالعمل بالقرآن: إن لحافظ القرآن أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً، وذلك يتحقق بعمله بالقرآن.

ج - الذم والتحذير من ترك العمل، ومخالفة ما جاء به القرآن: ورد الذم الشديد لترك العمل فيما قاله حل وعلا عن الأمم السابقة. فليحذر حامل القرآن من التهاون في العمل به، أو العمل بما يخالفه ويعارضه فإن الوعيد على ذلك عظيم، والعذاب المترتب عليه شديد.

٢ (المنهج النبوي يجمع بين تعاليم القرآن والعمل به:

كان الرسول ﷺ يربي أصحابه على العلم والعمل به، فكان يلقنهم القرآن ليتقنوا تلاوته، وتفسيره لهم ليفهموا معناه، ويبين أحكامه ليعملوا به، وهو قدوتهم في ذلك، ومن هنا يتضح بجلاء أن من الواجب نحو كتاب الله أن يعملوا به، ويكونوا مصاحف تمشي على الأرض، وترجمة عملية لأحكام القرآن وأخلاقه، ولذا يجب علينا أن نعمل بالقرآن، وأن نتخلق بأخلاقه حتى نكون من السعداء في الدنيا والآخرة.

خامساً : الدعوة والتعليم

لقد أمر الله سبحانه المؤمنين بالدعوة إليه وهدى الناس إلى صراطه المستقيم، وأمر الناس بالمعروف ونهيه، ولقد علّق النبي ﷺ قلوب أمته بكتاب الله، وحثهم على تعلمه وتعليمه فقال ﷺ : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " .

وهكذا كان حال سلفنا مع القرآن، تعليماً ونشراً، ودعوة إليه، فهلا نتأسى بالخلف بالسلف؛ حتى نسعد كما سعدوا، ونفوز كما فازوا.

الفصل الثالث

المصدر الثاني: السنة النبوية

الوحدة الأولى: مدخل إلى السنة النبوية

التعريف بالسنة النبوية

السنة لغة: هي الطريقة والسيرة، حسنة أو سيئة.

السنة اصطلاحاً:

- (١) **السنة في اصطلاح علماء الحديث:** هي ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية.
 - (٢) **السنة في اصطلاح علماء أصول الفقه:** هي ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي.
 - (٣) **السنة في اصطلاح الفقهاء:** هي ما أمر به الشارع أمراً ليس على سبيل الإلزام.
- فالسنة عند الفقهاء ما رغب فيها الشرع وحث عليها ولم يوجبها، وحكمها أنه يُمدح فاعلها ولا يُذم تاركها.
- ومن أمثلتها:** السنن الراتبية، قيام الليل، صوم التطوع، صدقة التطوع، حج التطوع، الذكر بعد الصلاة، زيارة القبور للعظة والاتعاظ.

السبب في اختلاف التعاريف

أهل الحديث نظروا للسنة من باب الاقتداء والتأسي برسول الله ﷺ، فهو الأسوة والقدوة.

أهل الأصول نظروا إليه ﷺ بصفته المشرع، فأخذوا عنه ما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي، من حل أو حرمة أو استحباب أو كراهة، وأرادوا الوقوف على الأحكام فأخذوا ما يصلح من سنته لذلك، فالسنة عند الأصوليين دليل من أدلة الأحكام الشرعية.

أهل الفقهاء أطلقوا السنة على بعض الأحكام الشرعية إطلاقاً لا يختص بفعل النبي ﷺ، فهم يبحثون عن أحكام الشرع على أفعال العباد وجوباً أو حرمة، فالسنة عندهم حكم شرعي يثبت للفعل بهذا الدليل.

مرادفات السنة

- ١- **الحديث:** لغة: الجديد
- اصطلاحاً:** هو ما روي عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية.
- ٢- **الخبر:** لغة: النبأ
- اصطلاحاً:** أن الخبر عند جمهور المحدثين مرادف للحديث، فيطلقان على المرفوع إلى النبي ﷺ.
- ٣- **الأثر:** لغة: البقية من الشيء.
- اصطلاحاً:** هو ما أضيف إلى النبي ﷺ أو الصحابة أو التابعين رضي الله عنهم أجمعين، من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية، وهو أعم من الحديث والخبر.

مكانة السنة في التشريع الإسلامي

حجية السنة، دلالتها وأدلتها: السنة هي الأصل الثاني من أصول التشريع الإسلامي، بعد القرآن الكريم، وهي حجة يجب العمل بها باتفاق المسلمين.

أدلة حجيتها من القرآن الكريم: وردت آيات عديدة توجب طاعة رسول الله ﷺ وتربط هذه الطاعة بطاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾.

أدلة حجيتها من السنة المطهرة: قال رسول الله ﷺ: "عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة".

أدلة حجيتها من الإجماع: إن السنة المطهرة حجة واجبة الإتيان، بإجماع المسلمين سلفاً وخلفاً، منذ عهد الصحابة الكرام، وهذا الأمر من مسلمة الدين، المعلومة لكل أحد بالضرورة، التي لا يجهلها أحد، ولا يختلف عليها اثنان من المسلمين.

صلة السنة بالقرآن: السنة المطهرة مرتبطة ارتباطاً بالقرآن الكريم، وذلك لأنها وحى من عند الله، ويتضح هذا الارتباط بأن للسنة ثلاثة أحوال من القرآن الكريم:

- (١) **السنة المؤكدة للقرآن الكريم:** وهي التي تدل على الحكم الشرعي الذي يدل عليه القرآن من جميع الوجوه، فهي موافقة للقرآن موافقة تامة، ومن أمثلتها:
 - ١- الأمر بآركان الإسلام في القرآن والسنة.
 - ٢- النهي عن أكل أموال الناس بالباطل في القرآن والسنة.
- (ب) **السنة المبينة للقرآن الكريم:** جاءت السنة موضحة للقرآن ومبيّنة له، ومقيدة لما جاء فيه مطلقاً، ومخصصة لما ورد فيه عاماً، وموضحة لما أتى فيه مُشكلاً، ومن أمثلة ذلك:
 - ١- بيان المَجْمَل: ومثاله الأمر المَجْمَل بالصلاة في القرآن، والبيان المفصل لأوقاتها وأركانها في السنة.
 - ٢- تقييد المطلق: ومثاله الأمر المطلق بقطع يد السارق في القرآن، وجاءت السنة بتقييده بقطع اليد من المفصل.
 - ٣- تخصيص العام: ومثاله أحكام الميراث العامة في القرآن، ووردت السنة بالتخصيص بعدم توريث القاتل.
 - ٤- توضيح المشكل: ومثاله ما ورد في القرآن من أن الأمن مختص بمن لا يظلم، وفي السنة يوضح معنى الظلم وتفسيره بالشرك.
- (ج) **السنة المستقلة بالتشريع:** وهي التي جاءت بأحكام منفردة لم تذكر في القرآن الكريم أصلاً، وهي مما يجب العمل بها؛ لأنها جاءت عن الرسول ﷺ، ومن

الوحدة الثانية : ثبوت السنة ومنهج توثيقها

ثبوت السنة

بيّن الله تعالى أن السنة وحْيٌ منه تعالى، فقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ ﴾، ومَرَّبْنَا أن طاعته من طاعة الله تعالى بنص آيات القرآن الكريم، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يَوْشِكُ رَجُلٌ شِيعَانٌ عَلَىٰ أُرْكِيَّتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ هَذَا الْقُرْآنُ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحْلَوْهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرَّمُوهُ".

فضل السنة والحث على حفظها وتبليغها: أمر الإسلام بالعلم والحث على نشره وتبليغه، فقال ﷺ "بلغوا عني ولو آية"، وجعل طلب العلم سبيلاً إلى الجنة وطريقاً إليها، فقال ﷺ "من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة".

حفظ السنة وعوامل انتشارها والعناية بها:

١ - السنة في عهد النبي ﷺ : حفظ السنة والاهتمام بتدوينها كان باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم في زمن النبي ﷺ وكان تدويناً مفرقاً، حيث كان بعضهم يدون لنفسه ما شاء من حديث رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ بين ظهرانيهم، يجالسونه فيسمعون أقواله، ويرون أفعاله، فيقتدون ويتشبهون، ويرجعون إليه فيما أشكل عليهم فيسألون ويستفتون، وكانوا على حفظ تام ووحي للسنة النبوية، إلى أن جاء عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، فأمر بتدوين السنة المطهرة. ولذا فقد اشتهر بين كثير من الناس من غير ذوي الاختصاص أن الحديث النبوي لم يدون إلا بعد المائة الأولى في عهد عمر بن عبد العزيز، وهذا الاعتقاد لاشك أنه اعتقاد خاطئ، السبب فيه هو عدم معرفتهم بمراحل كتابة السنة النبوية في عهد النبوة، وذلك أن كتابة السنة في ذلك العهد قد مرّ بمرحلتين اثنتين:

الأولى : مرحلة النهي عن كتابة السنة النبوية؛ وذلك في أول الأمر عند ابتداء نزول القرآن، حيث منع النبي ﷺ من كتابة السنة؛ خوفاً من اختلاط الحديث النبوي بالقرآن الكريم على الصحابة، لحداثة عندهم بنزول القرآن، ولثلا تشغل كتابة الحديث الصحابة عن القرآن الكريم في أول الأمر، حتى يتعلموه ويميزوه عما سواه.

وفي هذه المرحلة وردت أحاديث عن النبي ﷺ تتضمن النهي عن كتابة السنة النبوية والتي منها: أن رسول الله ﷺ : "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمح، وحذثوا عني ولا خرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار".

الثانية : مرحلة الإذن بكتابة السنة النبوية؛ وذلك لما كُتب القرآن، وأُمن الخلط والانشغال عن القرآن بغيره، أبيضت كتابة السنة المطهرة، ونُسَخ النهي عن الكتابة، وُرفِع هذا الحكم لزوال علة الحكم.

وفي هذه المرحلة وردت أحاديث كثيرة تثبت أمر النبي ﷺ بكتابة السنة وأذنه ورضاه بذلك، ومنها: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشرّ يتكلم في الغضب والرضا. فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوماً بأصبعه إلى فيه، فقال: "اكتب، فالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق".

الصحف المكتوبة في عهد ﷺ : لقد وجدت صحف فيها كثير من حديث رسول الله ﷺ في عهده، ووجود هذه الصحف الحديثية دليل على كتابة السنة في عهد النبي ﷺ وعلى ترجيح القول بنسخ النهي الوارد، وهذه أمثلة لهذه الصحف:

١ - الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو العاص رضي الله عنه. ٢ - صحيفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ٣ - كُتِبَ ﷺ لأمرائه وعماله، وكُتِبَ ﷺ إلى الملوك والعظماء التي دعاهم فيها إلى الإسلام.

ب - السنة في عهد الصحابة رضي الله عنهم : لم تكن السنة المطهرة قد دُونَتْ تدويناً كاملاً كما دُونَ القرآن الكريم، بل بقي الحال كما كان عليه في العهد النبوي، من وجود التدوين المفرق غير الرسمي، وذلك لعوامل منها: قوة دافعهم الإيماني، ورغبتهم الدينية، ومحبتهم البالغة للشرع والدين الحنيف، الذي يحملهم على حفظ السنة المطهرة واستيعابها في قلوبهم، مع صفاء أذهانهم، وقوة قرائنهم، ولم يتم تدوين رسمي للسنة على مستوى الأمة في عصر الصحابة، لكن كتب كثير من الصحابة لأنفسهم، ومن ذلك:

(أ) رسالة سمير بن جندب رضي الله عنه إلى بنيهِ، ضمَّنها ما سمعه من رسول الله ﷺ.

(ب) كتاب لأبي رافع مولى رسول الله ﷺ وهو يضم أحاديث في استفتاح الصلاة.

ج - السنة في القرن الثاني الهجري : لما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة رأى أن يدون حديث رسول الله ﷺ وذلك خشية ذهاب العلم بموت العلماء، وكذلك خوف اختلاط الحديث بغيره، وقد حدثت أمور في هذا العصر تجعل على تدوين السنة وكتابة الحديث، منها:

(أ) ظهور الوضع في الحديث والكذب على رسول الله ﷺ.

(ب) وفاة كثير من الصحابة الذين شاهدوا النبي ﷺ وسمعوا منه.

(ج) ضعف ملكة الحفظ، وقوة الذاكرة المعهودة فيمن سبق.

(د) طول الأسانيد وتشعبها، بسبب بُعد العهد عن رسول الله ﷺ وكثرة رواة الحديث.

فأراد عمر بن عبد العزيز أن يدون الحديث ويحفظه، وهذا ما يُسمى بالتدوين الرسمي، لأنه كان يأمر من أمير المؤمنين، فأرسل إلى أهل المدينة يأمرهم بكتابة ما عندهم من حديث رسول الله ﷺ. وهكذا دُونَتْ السنة رسمياً، وكانت هذه هي المحاولة الأولى لجمع الحديث وتدوينه بشمول واستقصاء.

د - السنة في القرن الثالث الهجري : نشطت حركة كتابة السنة والتدوين، وأخذت في التطور والازدهار، وتعاون الأئمة والعلماء في مختلف الأمصار، وتحدت طريقة التدوين، حيث كان العلماء في هذا القرن يفرقون بين أحاديث الرسول ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين، كما يرتبون الأحاديث على الأبواب أو الرواة، وتنحصر مناهج المصنفين في هذا العصر في طريقتين، هما:

الطريقة الأولى (المسانيد): تعتمد على جمع أحاديث كل صحابي على حدة، وتسمى طريقة المسانيد؛ لأن غايتها ذكر الأحاديث المسندة لذلك الصحابي، وأشهر الكتب التي ألفت على المسانيد: أ - مسند أبي داود الطيالسي. ب - مسند أحمد بن حنبل الشيباني.

الطريقة الثانية (الأبواب): يعتمد فيها على جمع الأحاديث، وترتيبها على الأبواب الموضوعية، وأهل هذه الطريقة منهم من اقتصر على الصحيح دون غيره الصحيح دون غيره مثل: أ - البخاري في صحيحه. ب - مسلم في صحيحه.

ومنهم من دَوَّن الصحيح وغيره كالحسن، والضعيف أحياناً، وأشهرهم: أ - أبو داود. ب - الترمذي. ج - النسائي. د - ابن ماجه.

منهج توثيق السنة: ظهرت العناية بالسنة النبوية في قواعد ثابتة ومنهج للنقد وضعه علماء الحديث رحمهم الله، حافظوا به على سنة نبينا محمد ﷺ.

وأبرز معالم هذا المنهج:

١ - نقد السند: وهو سلسلة الرواة الذين ينقلون ما أُضيف إلى الرسول ﷺ وسُمِّيَ سنداً لاعتماد الحفاظ عليه في معرفة صحة الحديث وضعفه، وقد ظهرت الحاجة إلى النظر في السند حين وُجدت الفتن.

ومن أهم ملامح نقد السند عندهم ما يلي:

(أ) التثبت في الرواية: وضع أصحاب رسول الله ﷺ وعلى رأسهم الصديق وعمر ﷺ منهج التثبت في الرواية: حفظاً لحديث الرسول ﷺ وطبقوا هذا المنهج.

(ب) الرحلة في طلب الحديث: لما كانت السنة وحياً من الله وتعلمها فرض كتعلم القرآن الكريم؛ أولاهها السلف الصالح غاية اهتمامهم، وبذلوا من أجل جمع الحديث وأسانيده كل ما في وسعهم، حتى رحلوا المسافات البعيدة طلباً للحديث، وبحثاً عن أسانيده، وقد اعتنى الصحابة ومن جاء بعدهم بالرحلة في طلب الحديث، فخرجوا إلى الأمصار يستمعون الحديث ممن سمعه من رسول الله ﷺ أو ممن جاء بعده.

٢ - نقد المتن: وهو ألفاظ الحديث التي تقوم بها معانيه، وهو ما ينتهي إليه السند من الكلام.

وقد اعتنى العلماء بدراسة متن الحديث، ووجهوا جهودهم إلى النظر فيه وعرضه على قواعد الدين، فإن وجد مخالف لشيء منها ردّوه وتركوا العمل به، كما أنهم اعتنوا ببيان ما يقدر الأمر.

فهذا وغيره يدل على مدى العناية العظيمة التي حظيت بها السنة عند العلماء حتى حفظوها من الوضع والكذب، فسلمت لنا السنة، ووضعوا القواعد التي ميزوا بها صحيحها من سقيمها، فجزاهم الله خير الجزاء.

وهكذا تفردت السنة النبوية بمنهج فريد في التوثيق: حيث يتميز كلام النبي ﷺ ولا يختلط بكلام غيره من الناس، فكانت السنة محفوظة بحفظ الله تعالى، ولم يحط كلام بعد كلام الله تعالى بالصيانة والحفظ كما حظيت سنة النبي ﷺ وكلامه، وذلك لأنها هي التي تبين القرآن وتفسره، ولأنها أحد الوحيين والمصدرين الأساسيين للدين الإسلامي.

شبهات واردة وردود حاسمة

أثار بعض الحاقدين على الإسلام والحاسدين له شبهة حول السنة المطهرة، للتشكيك في هذا المصدر التشريعي الأصيل، والنيل من هذا الدين العظيم، وكلها محاولات باءت بالفشل والخذلان، فإن الله تعالى قد تكفل بحفظ دينه من التحريف، وحماية شرعه من التبديل.

وهذا عرض لبعض الشبهات مع ذكر تفنيدها والجواب عليها:

الشبهة الأولى: تتلخص في أن السنة المطهرة تأخر تدوينها إلى أن بقيت قرابة مائتي سنة قبل أن تكتب، ثم قرر المحدثون بعد هذه المدة الطويلة كتابتها وتدوينها.

الرد عليها: أنها باطلة لا تمت إلى واقع الحقيقة بصلة؛ إذ أن السنة كُتبت في عهد النبي ﷺ ودُوِّنت تدويناً غير رسمي من قبل بعض الصحابة رضي الله عنهم، وأما أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز في بداية القرن الثاني بتدوين السنة فهو أمر بالتدوين الرسمي لها.

الشبهة الثانية: تتلخص في أن المحدثين لما نقدوا السنة المطهرة وميزوا صحيحها من سقيمها، وبيّنوا مقبولها من مردودها كانوا يعتمدون في هذه الأحكام على نقد الأسانيد فقط دون الحكم على متون الأحاديث، وأن هذه الطريقة تُعتبر قاصرة تعوزها الدقة والتمحيص.

الرد عليها: أنها باطلة كسابقتها؛ لأن من له أدنى إلمام بعلم أصول الحديث ومصطلحه، يعلم جلياً أن أساسيات هذا العلم تقوم على نقد السند والمتن جميعاً.

أقسام الحديث الشريف وأحكامها

أقسام الحديث من حيث القبول والرد:

١ - المقبول: وهو ما توافرت فيه شروط القبول، وينقسم إلى: أ - الحديث الصحيح. ب - الحديث الحسن.

٢ - المردود: وهو ما لم تتوافر فيه شروط القبول، وينقسم إلى: أ - الحديث الضعيف بأنواعه. ب - الموضوع.

وهذا إيجاز في التعريف ببعض هذه الأنواع:

١ - الحديث المقبول:

أ - الحديث الصحيح: تعريفه لغة: الصحيح ضد السقيم.

تعريفه اصطلاحاً: هو ما اتصل بسنده، بنقل العدل، تام الضبط، عن مثله إلى منتهاه، من غير شذوذ ولا علة.

شروطه: (١) اتصال الإسناد: معناه أن يكون كل واحد من رواة الحديث قد تلقاه ممن فوقه من الرواة وهكذا.

(٢) عدالة الرواة: وهم من استقام دينهم وحسن خلقهم، وسلموا من أسباب الفسق وخوارم المروءة.

(٣) ضبط الرواة: هو تيقظ الراوي حين تحمّله الحديث، وحفظه، وفهمه لما سمعه، من وقت التحمل إلى الأداء.

(٤) السلامة من الشذوذ: وهي مخالفة رواية الثقة لمن هو أولى منه عدداً أو ثقة.

(٥) السلامة من العلة: وهي وصف خفي يقدر في صحة الحديث.

حكمه: أجمع أهل العلم بأن الحديث الصحيح حجة يجب العمل به، ولا يسع المسلم تركه.

ب- الحديث الحسن: ﴿تعريفه لغة: صفة مشبهة من الحُسْن بمعنى الجمال.

﴿تعريفه اصطلاحاً: هو ما اتصل سنده بنقل العدل، الذي خف ضبطه، عن مثله إلى منتهاه، من غير شذوذ ولا علة.

﴿الفرق بين الصحيح والحسن: بينهما تشابهاً كبيراً، حيث اتفقا في سائر الشروط عدا ما يتعلق بالضبط، فالصحيح راويه تام

الضبط، وهو من أهل الحفظ والإتقان، أما الحسن فهو قد خفَّ ضبطه أي أنه حافظ ضابط لكنه في مرتبة أدنى من ضبط

راوي الحديث الصحيح.

﴿حكمه: هو كالصحيح في الاحتجاج والعمل به، واحتج به الفقهاء جميعاً، وعملوا به، غير أنه دون الصحيح في القوة.

٢- الحديث المردود:

أ- الحديث الضعيف: ﴿تعريفه لغة: ضد القوي.

﴿تعريفه اصطلاحاً: هو الحديث الذي لم يجمع صفة الصحيح والحسن.

﴿حكمه: اختلف العلماء في العمل به على قولين:

- ذهب بعضهم إلى عدم العمل به مطلقاً

- ذهب بعضهم إلى جواز العمل به في فضائل الأعمال والمواظب والترغيب والترهيب، بثلاثة شروط:

١- أن لا يكون الضعف شديداً. ٢- أن يكون مندرجاً تحت أصل عام. ٣- أن لا يعتد بثبوته عند العمل به.

ب- الحديث الموضوع: ﴿تعريفه لغة: له عدة معانٍ منها: الترك، ويأتي بمعنى: الافتراء والاختلاق.

﴿تعريفه اصطلاحاً: هو ما نُسب إلى الرسول ﷺ اختلاقاً وكذباً مما لم يقله أو يفعله أو يُقرّه.

﴿حكمه: أجمع العلماء على أنه لا تحل روايته لأحدٍ علم حاله في أي معنى كان، إلا مع بيان وصفه، وأنه موضوع مفترى به.

﴿أسباب الوضع: ١- ظهور الخلاف بين المسلمين بسبب الفتنة، وظهور فرق مختلفة، راحت كل واحدةٍ منهم تضع الأحاديث

انتصاراً لمن يزعمون أنه أحق بالخلافة.

٢- العداء للإسلام، فقد وضع الزنادقة أحاديث عن النبي ﷺ حاولوا فيها إفساد الدين على المسلمين.

٣- الترغيب والترهيب لحث الناس على الخير، فقد وضع قومٌ من الجهلة أحاديث ليحثوا الناس على الخير ويزجروهم عن

الشر حسب زعمهم.

﴿مصادر الحديث الموضوع: ١) الموضوعات. ٢) اللأئي المصنوعة في الأحاديث الموضوعية.

٣) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعية. ٤) المنار المنيف في الصحيح والضعيف.

الوحدة الثالثة : عضلة الرسول الكريم ﷺ

إن الرسول ﷺ هو صاحب السنة ومصدرها، وقد حاز ﷺ تفضيل الله تعالى له على جميع الخلق، فهو إمام المرسلين، وخاتم النبيين، وسيد الخلق أجمعين، حياه الله تعالى القدر العالي، والمقام السامي، وفضله على من سواه من الخلائق، فكل مخلوق دون مرتبة، وهو أعلاهم درجة، وأسماهم منزلة، وأجلهم مكانة، وأفضلهم مقاماً، وأرفعهم قدراً، وأكثرهم فضلاً.

وسنعرض لمكانة نبينا الكريم ﷺ من خلال المحاور التالية:

أولاً : مكانة الرسول الكريم ﷺ والبشارة به في الكتب السماوية:

مما يؤكد مكانة رسولنا الكريم ﷺ ما جاءت به الكتب السماوية من بشارات تبشر ببعثته، وتذكر بعض صفاته وصفات أتباعه ﷺ، وتأمراً باتباعه ونصره وتأييده، كما شهد بذلك عدد من أهل الكتب السماوية السابقة، ومن ذلك:

أ) (بشارة التوراة به ﷺ): لقد بشرت التوراة بنبينا محمد ﷺ وأخبرت عن بعثته ورسالته، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوتًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، وبعثته ﷺ هي تصديق لما في التوراة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَنْبِيُّ إِسْرَاءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾.

ب) ذكر بعض صفاته الجليلة في الكتب السماوية: لم تقتصر الكتب السماوية على مجرد البشارة به ﷺ والإخبار عن نبوته في آخر الزمان، بل ذكر بعض هذه الكتب شيئاً من صفاته الحميدة، وصفات أتباعه المؤمنين، وكان مما ذكرت من صفاتهم أنهم يتقون الله، ويؤتون الزكاة، ويؤمنون بآيات الله، وحثت الكتب على اتباع هذا النبي الكريم.

ج) أخذ الميثاق على الأنبياء بالإيمان به والنصر له: من عظيم مكانة الرسول الكريم ﷺ وكبير قدره عند ربه عز وجل: أن الله تعالى أخذ على كل نبي من الأنبياء عهداً وميثاقاً عظيماً، بينه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

د) شهادة بعض أهل الكتاب بصفاته ﷺ: شهد عدد من الأحرار وعلماء أهل الكتاب بصدق النبي ﷺ ومعرفته من خلال ما يجدون عنه من صفات مكتوبة عندهم وبشارات موجودة لديهم، كالتجاشي ملك الحبشة الذي آمن به ودخل في الإسلام، وسلمان الفارسي رضي الله عنه الذي عرفه وآمن به، وورقة بن نوفل الذي أدرك بعثة النبي ﷺ وآمن به ولم يدرك الرسالة والدعوة.

ثانياً : مكانة الرسول ﷺ في القرآن الكريم:

لقد أبرز القرآن الكريم مكانة النبي ﷺ العالوية، وجاءت آيات كثيرة تبين مقامه الرفيع، وتظهر فضله العظيم، وتبرز قدره الجليل، ومن وجوه التعظيم والإكرام له ﷺ الواردة في القرآن الكريم:

الوجه الأول/ خصائصه التي اختصه الله بها :

(١) الرسول ﷺ خاتم النبيين: لقد ختم الله تعالى بنبيينا محمد ﷺ الأنبياء، وختم برسالاته الرسالات، وبدينه الأديان، فلا نبي بعده، ولا دين ناسخ لدينه، بل نسخ دينه الأديان، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ ﴾ .

(٢) الرسول ﷺ مُرسل إلى الثقلين أجمعين: خصَّ الله المصطفى ﷺ بأن جعل رسالته إلى الناس كافة، ولم تقتصر على جميع الإنس فقط، بل عمت الإنس والجن معاً.

(٣) الرسول ﷺ مقدم على غيره من الأنبياء: من عظيم مكانته وقدره ﷺ ورفعة شأنه عند ربه ﷻ أن قدم الله تعالى ذكره عند ذكر الأنبياء في أخذ الميثاق والعهد منهم، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۝ ﴾ ، وكذلك قدمه في ذكر الوحي إليهم، مع تأخر زمانه عنهم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۚ ﴾ ،

الوجه الثاني/ وصفه بالأوصاف الجليلة والنعوت العظيمة :

(١) رحمة للعالمين: قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝ ﴾ .

(٢) مِثَّة من الله تعالى على المؤمنين: قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ .

(٣) أمان لهذه الأمة: قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَتْ لَآلِهَةٍ مِّنْ أَن يَذَّكَّرُ بِهِمْ بِآيَاتِهِ وَلَئِنْ كُنَّا إِلَّا لَنَنصِفَنَّ ذُنُوبَهُمْ إِنَّهُم مُّذِلَّةٌ ۝ ﴾ .

(٤) البشير النذير والسراج المنير: قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ ﴾ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

الوجه الثالث / تقرير تعظيمه والتأدب معه ﷺ :

(١) الصلاة عليه من الله تعالى ومن الملائكة ومن المؤمنين: قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝ ﴾ .

(٢) الأدب عند ندائه ﷺ: أ- توقير الله تعالى له في النداء، من عظيم مكانته ﷺ أن جعل نداءه في القرآن الكريم بالنبوة والرسالة، ولم يرد في القرآن الكريم النداء باسمه المجرد عن الوصف، ففي نداء الرسول ﷺ نجد قوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الرَّسُولُ ۚ ﴾ ، وقوله سبحانه: ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ ۚ ﴾ ، بينما نجد نداء الله تعالى لسائر الرسل والأنبياء بأسمائهم.

ب- الأمر بالأدب عند ندائه ﷺ، وذلك بعدم مناداته باسمه ﷺ بل مناداته بالنبوة أو الرسالة، لقوله تعالى: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۝ ﴾ .

ج- الأمر بعدم رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ وعدم الجهر له بالقول، وجعل الله تعالى الأدب في خطاب النبي ﷺ علامة إيمان وتقوى، وحذر سبحانه من سوء الأدب في خطابه ﷺ وبين أنه سبب إحباط العمل، لقوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ ﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا ۚ هُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ .

الوجه الرابع / العناية الإلهية والرعاية الربانية :

معلوم أن الرعاية والإكرام، لا تكون من الله تعالى إلا لمن كان في أعظم المراتب وأرفع المنازل؛ ولذا كان أعظم إكرام، وأشمل رعاية، وأجل عطف ورحمة، هي لرسول الله ﷺ وذلك شاهد على علو قدره، ورفعة مكانته، وذلك من وجوه:

(١) **التكفل بحفظه وعصمته ورعايته:** تكفل الله تعالى بحفظه ﷺ من الناس، وعصمته من إيذاء عدوه وضرره، فقد قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ۗ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ١٠٨ ﴾، وأمره أن يصعد بدعوته، وأن لا يخشى الجاحدين المستهزئين، وبشره سبحانه بكفايته له، فقال تعالى: ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ١٠٩ ﴾ إِنََّّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿ وَأَمْرُهُ بِالصَّبْرِ عَلَى حَكْمِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ، وبشره سبحانه بأنه في رعاية الله وحفظه، تكلؤه عينه وتحرسه عنايته، فقال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ١١٠ ﴾.

(٢) **التكفل بحفظ دينه وشريعته:** قال تعالى: ﴿ إِنَّا خُنْزِلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ١١١ ﴾.

(٣) **شرح صدره ورفع ذكره:** قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نُشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ۖ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۖ ﴾.

♦♦♦ من صور رفع الذكر:

- أنه لا يُذكر الله تعالى إلا وذكر النبي ﷺ معه، سواء في شهادة التوحيد أو الأذان أو التشهد.
- رفع ذكره في الأولين والآخرين، والتنويه به حين أخذ الله الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به وأمههم.
- ربط الإيمان بالله بالإيمان بالرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ١١٢ ﴾.
- ربط طاعة الرسول ﷺ بطاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۚ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۚ ﴾.

الوجه الخامس / الفضل الأخروي :

جعل الله تعالى لنبيه لمحمد ﷺ من الفضل الأخروي ما يظهر عظمته الباهرة، ودرجته العالية، وهذا ذكر لبعضها مع أدلتها:

(١) **مغفرة ذنبه:** قال تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ١١٣ ﴾.

(٢) **تفريده بالمقام المحمود:** قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَلْبَسَ فَتَحَجَّجَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ١١٤ ﴾.

(٣) **منحه الكوثر والحوض المورود:** قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۖ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ١١٥ ﴾.

ثالثاً : شهادات في عظمة الرسول الكريم ﷺ:

لقد اجتمع للنبي ﷺ شهادات في عظمته ومكانته، لم تجتمع لأحد من الناس مهما عظم قدره وعلت منزلته، وقد جمعت هذه الشهادات بين الكثرة والتنوع وتعدد المصادر، فمنها ما جاء من أصحابه ﷺ، كشهادات خديجة رضي الله عنها، وجعفر بن أبي طالب ﷺ، ومنها ما جاء من قبل أعدائه، كشهادة أبي سفيان، وكعب بن أسد القرظي، ومنها ما جاء من قبل بعض المستشرقين كمايكل هارت، وبرناردشو، وإدوار مونت.

الوحدة الرابعة : ملامح من أخلاق الرسول ﷺ

إن عظمة أخلاق النبي الكريم ﷺ قضية شهد بها القرآن العظيم، وأكدها الله تعالى من فوق سبع سموات، فقال تعالى: ﴿ ت ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ١١٦ ﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ١١٧ ﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿.

وقد أكد القرآن هذا المعنى بمؤكدات كثيرة، تثبت علو خلقه ﷺ، ومن هذه المؤكدات، أنها شهادة من الله تعالى وهي شهادة مؤكدة بالقسم، والمقسم هو خالق السموات والأرض، وهذه شهادة كبرى لا توازيها شهادة، فهي أصدق وأعظم شهادة، لأنها من العلي الخبير، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. ومع ذلك نجد النبي ﷺ متواضعاً لله تعالى، لا يعتريه كبرٌ وغرور، ولا يخالطه تعاضل واستعلاء، وإنما يزداد تواضعاً لله تعالى، ويبقى ثابتاً على المبدأ والدين.

صدقه وأمانته ﷺ :

عُرف نبينا الكريم ﷺ بهذا الخلق النبيل، وشهد له بها أعداؤه قبل أصحابه، قال تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۚ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِبَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ يَحْجِدُونَ ١١٨ ﴾.

وأما الأمانة فهي من أعظم الصفات وأكبرها أهمية، وقد اتصف وعُرف بها ﷺ وكانت من أبرز صفاته، حيث كانت الأمانة من أسباب اختيار السيدة خديجة رضي الله عنها له ليكون زوجها لها، بعد أن أخبرها ميسرة عن أمانة رسول الله ﷺ وصدقه، وأيضاً عندما كانت قريش تضع عنده الأمانات رغم محاربتها له ﷺ.

شفقته ورحمته ﷺ :

من الصفات التي شهد بها القرآن للرسول ﷺ رحمته وشفقته، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ١١٩ ﴾.

ومن مظاهر رحمته ﷺ:

١ - رحمته بأمته: قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

٢ - رحمته بالخدم: قال أنس رضي الله عنه: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أف، ولا لِمَ صنعت؟ ولا: ألا صنعت؟.

٣ - رحمته بالصبيان: كان ﷺ يُقبَل الصبيان ويجلسهم في حجره، رحمةً منه وشفقة عليهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ﷺ يُقبَل الحسن، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبَلت واحدا منهم، فقال رسول الله ﷺ: "إنه من لا يرحم لا يُرحم".

٤ - رحمته بالأمهات: من رحمة النبي ﷺ أنه يخفف العبادة إذا سمع بكاء الصبيان رحمة بأمهاتهم، وخشية أن يشق عليهن بانشغال قلوبهن وخوفهن على أولادهن، كما قال ﷺ: "إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها؛ فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه".

٥ - رحمته بالضعفاء من أمته: كان ﷺ يعتني بالضعفاء من أمته، وكان يتفقد أحوالهم، ويزورهم فيقضي حاجتهم، ويعود من كان مريضاً منهم، ويشيع جنازتهم، قال سهل بن حنيف رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم.

٦ - رحمته بالحيوان: كان ﷺ يوصي الصحابة بأن يرحموا ولا يثقلوا عليها، ويعطوها حظها من الرعي وغيره، ومرة ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: "اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة".

عدله وإنصافه ﷺ :

كان ﷺ أعدل الخلق، وأكثرهم إنصافاً، وأبعدهم عن الظلم والجور، وكان ﷺ يلجأ الناس إليه في الجاهلية يتحاكمون عنده، لما يعلمون من عدله وإنصافه. وهناك مواقف في السيرة تدل على عدل وإنصاف النبي ﷺ ومنها: قصة الأراشي، وقصة المخزومية، وقصة سواد بن غزيرة.

برّه ووفاءه ﷺ :

كان ﷺ خير من بر بالوعد، ووفى بالعهد، وحياته خير مثال لتطبيق الوفاء، ومن نماذج برّه ووفائه: وفاؤه لخديجة رضي الله عنها في حياتها وبعد مماتها، وأيضاً وفاؤه في صلح الحديبية.

زهده وتواضعه ﷺ :

جمع النبي ﷺ بين خلقين كريمين وهما: الزهد والتواضع، فالزهد ما يمثل صلته بالدنيا والحياة، والتواضع ما يترجم علاقته بالناس والأحياء. وقد ضرب ﷺ أروع الأمثلة في الزهد في الدنيا وفي ترفع قلبه عنها وعدم تعلقه بها وذلك لصغرها في نفسه، وهونها في عينه، فهي عنده أقل من أن تشغله عن الآخرة، ومن تلك الأمثلة:

أ - طعامه ﷺ: لم يشبع ﷺ من الخبز ثلاث أيام متتالية، كما أخبرتنا عائشة رضي الله عنها حين قالت: ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البرّ ثلاث ليالٍ تباعاً حتى قبض.

ب - أثاثه ﷺ: في وصف أثاث بيته ﷺ ومتاعه، تقول عائشة رضي الله عنها: ((كان فراش رسول الله ﷺ من آدم، وحشوه من ليف)) وكان راضياً وسعيداً به.

ج - مسكنه ﷺ: كان عبارة عن حجرات من لبن وطين وسعف النخل، يقول الحسن البصري: ((كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في عهد عثمان رضي الله عنه فأتناول سقفها بيدي))

د - تركته ﷺ: فارق الدنيا ﷺ ولم يدخر منها شيئاً، وخرج منها كفافاً، كما قال عمرو بن الحارث رضي الله عنه: ((ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهماً ولا ديناراً، ولا عبداً، ولا أمة، ولا شيئاً، إلا بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضاً جعلها صدقة)).

أما التواضع وهو خفض الجناح ولين الجانب، فكان تواضعه ﷺ ثمرة ملازمة لزهده ﷺ، وقد جمع ﷺ بين الوصفين، وقرن بين الخليقين.

ومن الدلائل على تواضعه ﷺ: أ - نهيه عن المبالغة في مدحه ﷺ: قال ﷺ: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله".

ب - تواضعه ولين جانبه في معاملة أصحابه: كان من تواضعه ﷺ يجالس أصحابه، ويؤاكلهم دون أن يشعر جلسه بالكلفة، قال ﷺ: "إن الله جعلني عبداً كريماً، ولم يجعلني جباراً عتيماً".

ج - قضاؤه لحوائج الضعفاء ووقوفه معهم: من تواضعه أن الأمة المملوكة تأتيه ﷺ فتأخذ بيده الشريفة، فتذهب به ليقضي لها حاجتها، لقول أنس رضي الله عنه: ((إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت)).

شجاعته وإقدامه ﷺ :

عرف النبي ﷺ بالشجاعة منذ الصغر، فقد شارك مع أعمامه في حرب الفجار فكان يرد عليهم نبل عدوهم، وله ﷺ في الشجاعة قصب السبق، وهو في الإقدام متقدم على سائر الأنام، فهو دائماً رابط الجأش، ثابت الأقدام، قوي الحنان، وكان له ﷺ الشجاعة المطلقة، لقول أنس رضي الله عنه: ((كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس))، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((كنا إذا احمر البأس، ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه)).

الوحدة الخامسة : ملامح القدوة من سيرة الرسول ﷺ

إن عظمة الرسول الكريم ﷺ تتجلى في أنه استوفى جميع جوانب العظمة، وتتميز في سائر مجالاتها، وتفوق في كل ميادينها، وما من وجه من الوجوه إلا وهو فيه القدوة المثلى، والأسوة العظمى، ومن هنا نفقه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

جوانب القدوة في سيرته ﷺ:

الرسول ﷺ داعياً ومعلماً

نص القرآن الكريم على أن وظيفة الرسول ﷺ هي الدعوة والتعليم، دعوة الناس إلى الخير، وتعليمهم الشريعة الغراء، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

ومن أمثلة طريقة النبي ﷺ في الدعوة والتعليم:

١. التعليم بالحلم والأناة وكمال الأدب: كان تعليمه ﷺ غاية في الحلم والأناة، مع كمال الأدب وحسن المعاملة، والبعد عن الشتم والتجريح، أو التفضيق والتجهيل.
٢. التعليم باستخدام الوسائل التعليمية.
٣. التعليم بالتدرج وترتيب الأولويات: كان ﷺ يتدرج في تعليم الناس، فيبدأ بالأهم ثم المهم، ويراعي تقديم ما اشتدت الحاجة إلى تعلمه على غيره.
٤. التعليم بضرب الأمثال: كان ﷺ في تعليمه ودعوته لأمة يضرب المثل: ترغيباً للنفوس، وتقريباً للأذهان.
٥. تخصيص وقت لتعليم النساء: كان ﷺ يخصص وقتاً لتعليم النساء، لعلهن بحاجتهن للتعليم، وصعوبة اجتماعهن مع الرجال.

الرسول ﷺ زوجاً وأباً

كان ﷺ خير الناس لأهله، وكان يحث على ذلك، فيقول: "خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"، وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقة، ويضاحك نساءه.. ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل وحده إلى بيتها، ومن وجوه القدوة الزوجية في سيرته ﷺ:

١. اللطف والسماحة في المعاملة .
٢. النواضع والقيام بالخدمة المنزلية: كان ﷺ يخدم أهله، ويعمل في بيته، ويقوم على حاجته، فكان يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه، ويخفف نعله.
٣. مراعاة حاجات الزوجة وتلبيةها: الرسول الأب حدث عن وجوه العظمة والسمو ما شئت ولا حرج ، فإنك ستجد الحب الغامر ، والحنان الظاهر ، إضافة للتوجيه المعبر ، والتنبية المؤثر ، مع التربية القويمة ، والتنشئة السليمة، ومن مضات أنوار أبوته ﷺ .
- أ (الحفاوة والتقدير: كان ﷺ يحتفي بأولاده ويكرمهم ، ويظهر لهم الود والتقدير ، والعناية والاهتمام .
- ب (الملاطفة والملاعبة: كان ﷺ يداعب الصغار من أولاده وأولاد بناته .
- ج (التربية والتقويم: كان المصطفى ﷺ نعم المربي، يدعو إلى الخير ويحث عليه، وينهى عن الشر ويحذر منه، ويغرس التنزه عن الحرام في نفس الصغير لينشأ على البعد عن المحرمات .

الرسول ﷺ حاكماً وقائداً

لقد حاز رسول الله ﷺ كل مجالات الكمال البشري والسمو الإنساني، ومن هذه الكمالات كمال قيادته ﷺ، فقد توفرت فيه صفات القيادة العظيمة، وهذا الكمال والنجاح القيادي ينبني على أسس ينبغي توفرها في القائد، ومن أبرزها:

١. العدل والإنصاف: قرر ﷺ العدل وأرسى دعائمه حتى لغير المسلمين من اليهود.
٢. الثبات والاستمرار: حمل الرسول ﷺ الدعوة تبليغاً وإقناعاً رغم تألب جُل القبائل العربية عليه، ورغم العداء الصارخ العنيف الذي واجهته الدعوة، من حروب معلنة، ومكائد خفية، ومع كل ذلك فقد ظل النبي ﷺ سائراً في طريقه، ثابتاً في دعوته، مبلّغاً دين ربه، صابراً على كل أذى، محتسباً الأجر في ذلك .
٣. العلم والخبرة: جمع ﷺ العلم بالشرع فكان أعلم الناس بالله تعالى وأتقاهم له، وأعرفهم بدينه وشرائعه، كما جمع مع ذلك الخبرة والمعرفة الدنيوية، كمعرفة القبائل العربية موطناً وتاريخاً وديانة، ومعرفة الملوك والعظماء، وإدراك سيرهم عدلاً وظلماً .
٤. الثقة المتبادلة مع الأصحاب: كانت الثقة بين النبي ﷺ وبين أصحابه في قمتها، ولذلك صدقوه وأطاعوه، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، وقاتلوا معه، ودونه.
٥. تطبيق مبدأ الشورى : كان ﷺ يستشير أصحابه ويشيرون عليه.
٦. حسن التصرف وبُعد النظر: كان ﷺ حسن التصرف بعيد النظر، ثاقب الرؤية، سريع البديهة، يحسن اختيار الحلول المناسبة لكل ظرف وحدث طارئ.

الرسول ﷺ صديقاً وصاحباً

كان ﷺ خير قدوة في تعامله مع أصحابه، لذلك أجله أصحابه وعظموه، وقدروه وأحبوه أعظم محبة، وقدموا محبة على محبة أنفسهم وأولادهم، ومن الأمثلة على ذلك:

١. حسن التعامل: وصف علي بن أبي طالب عليه السلام حال النبي ﷺ مع أصحابه، فقال: ((كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش)) .
٢. حب الخير لأصحابه: كان ﷺ حريص على أصحابه، وعلى أمة من بعده، يحب الخير لهم ويفرحه، ويكره لهم الشر ويحزنه، فعن أبي هريرة عليه السلام أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " إني مثلي ومثل الناس كمثل رجل استرق نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفرائش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل يزعهن، ويغلبهن، فيقتحمن فيها، فأنا أخذ يحجزكم عن النار، وهم يقتحمون فيها " .
٣. حسن التوجيه: كان ﷺ إذا رأى من أصحابه خطأ يسارع لتوجيههم، وتعليمهم .
٤. الاعتراف بالفضل: إذا قدم له أحد أصحابه معروفاً ذكره وذكر معروفة .

الوحدة السادسة : واجبنا نحو الرسول ﷺ وسنته

لنبينا محمد ﷺ حقوقاً أوجبها الله تعالى له، تبياناً لقدره، وإقراراً بمنزلته، واعترافاً بفضله، ومن أهمها:

١ - الإيمان به والتسليم بنبوته ﷺ.

٢ - المحبة والتقدير له ﷺ.

٣ - المتابعة والافتداء به ﷺ.

أولاً: الإيمان به ﷺ والتسليم بنبوته: قرن أمر الله سبحانه وتعالى بالإيمان به بالإيمان بالنبى ﷺ، فلا يصح إيمان بالله تعالى دون الإيمان برسوله ﷺ، ومن كفر بنبينا ﷺ فقد كفر بالله تعالى، لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكُنَّ الَّذِينَ الَّذِينَ أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

والإيمان به يشتمل على جملة أمور مطلوبة وهي:

(أ) تصديقه ﷺ في نبوته ورسالته، وأن بعثته إلى الخلق أجمعين، وتصديقه في جميع ما جاء به.

(ب) مطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله ﷺ.

(ج) طاعته فيما أمر، وامتنال ما نهى وزجر، وإتباع شرعه وهديه، وهذه الطاعة هي سبب دخول الجنة بعد رضوان الله تعالى، قال ﷺ: " كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبى "، قالوا: يا رسول الله: ومن أبى؟ قال: " من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى ".

ثانياً: المحبة والتقدير له ﷺ: المحبة هي تعلق القلب بالمحبيب وقد أوجب الله تعالى محبة نبيه ﷺ فقال: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَءَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ؕ وَاللَّهُ لَا يَهْدَى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾.

كما أوجب سبحانه وتعالى التأدب مع نبيه الكريم وتوقيره بالتأدب مع سنته وتعظيمها، وعدم التقدم بين يدي أوامره، ومحبة النبي الكريم ﷺ لها لوازم وعلامات تدل على صدق مدعيها، ولا تنأتى صدق المحبة له ﷺ بدونها، ومن أظهر هذه العلامات:

(أ) محبة من أحبههم رسول الله ﷺ، والرضا عن رضي عنهم، ومن ذلك:

- ١- محبة آل بيت رسول الله ﷺ الطيبين الطاهرين، وزوجاته أمهات المؤمنين، وإكرامهم، وتوقيرهم، ومعرفة مكانتهم وفضلهم.
- ٢- محبة أصحاب الرسول ﷺ من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون.
- ٣- محبة أمته ﷺ، والشفقة عليهم، والنصيحة لهم، والسعي في الخير لهم.

(ب) بغض من أبغض الله ورسوله، ومعاداة من عاداه، ومجانبة من خالف سنته، أو سب أحداً من آل بيته الأطهار وصحابته الأخيار، أو طعن في إحدى زوجاته الطهارات.

ثالثاً: المتابعة والافتداء به ﷺ: متابعة النبي ﷺ والافتداء به واجب على كل مسلم ومسلمة، فقد جعله الله تعالى قدوة المؤمنين وأسوة لهم، وهي من أدل الأمور على صدق الإيمان بنبوته ﷺ؛ ولذا ربطت كثير من آي القرآن الكريم متابعة النبي ﷺ وطاعته، بطاعة الله، قال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾.

وإتباع النبي الكريم ﷺ من أعظم أسباب الهداية والتوفيق، وطرق النجاح والفلاح، قال تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾، كما أن الافتداء برسول الله ﷺ وإتباع سنته، من أبرز علامات صدق المحبة لله التي يدعيها أكثر الناس، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾، كما حذر ﷺ من ترك حديثه، وهجر سنته، فقال ﷺ: " لا ألفين أحداًكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندرى ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه ".

الْفَضْلُ الرَّابِعُ

الإجماع، والقياس، والاجتهاد والفتوى

الوحدة الأولى: المصدر الثالث: الإجماع

تعريف الإجماع

لغة: ١- العزم على الشيء والتصميم عليه، قال تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِمَا فَعَلَ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾.

٢- الاتفاق، تقول: أجمع القوم على الأمر، إذا اتفقوا عليه، ومنه قوله تعالى في خير يوسف عليه السلام مع أخوته: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾.

اصطلاحاً: اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ، بعد وفاته، في عصر من العصور، على حكم شرعي.

شرح التعريف: "اتفاق": معناه الاشتراك في الاعتقاد، أو القول، أو الفعل، أو السكوت.

"المجتهدون": هم علماء الشرع الذين بلغوا رتبة الاجتهاد.

حجية الإجماع

يعد الإجماع حجة شرعية يجب العمل به، وتحرم مخالفته، فهو ثالث مصادر الشريعة الإسلامية المتفق عليها عند المسلمين بعد الوحيين: الكتاب والسنة.

الإجماع من خصائص هذه الأمة: يعد الإجماع من أبرز مناقب هذه الأمة، إذ قد ضمن الله لهذا الأمة في اجتماعها الصيانة من الخطأ، تكريماً لها، وتعظيماً للنبي ﷺ، حتى تكون أمة الإسلام معصومة في التبليغ إلى قيام الساعة.

أدلة حجية الإجماع

١- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

٢- من السنة: قال ﷺ: "لن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله".

مستند الإجماع

إن التشريع حق خالص لله، لذا كان لا بد لكل إجماع من مستند يستند إليه.

والفتوى بدون مستند شرعي خطأ، إذ إنها قول في الدين بغير علم، وقد نهينا عنه كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾. والأمة، كما تقرر معصومة من الوقوع في هذا الخطأ، فلا يكون إجماعها على حكم شرعي، إلا عن مستند شرعي، سواء نُقل إلينا هذا المستند، أم لم يبلغنا.

والمستند قد يكون نصاً من الكتاب أو السنة بالاتفاق، كما يصح أن يكون هذا المستند القياس.

فائدة الإجماع مع وجود المستند:

١- أن مستند الإجماع قد يكون نصاً شرعياً ظني الثبوت، وقد يكون نصاً قطعي الثبوت لكن دلالاته على الحكم ليست قطعية، فيرفع هذا الدليل الظني إلى مرتبة الدليل القطعي.

٢- إن الفائدة لا تُعَدُّ من وجود الإجماع ولو كان مستند الإجماع قطعياً، إذ تكون فائدة الإجماع هي تأكيد الحكم.

٣- أن الإجماع يُستغنى به عن البحث عن الدليل؛ لأنه دليل بذاته، وإن لم يُعرف مستنده.

أمثلة على الإجماع:

١- أجمعت الأمة على أنه يجوز للحائض التسبيح والتهليل وسائر الأذكار غير القرآن.

٢- أجمعت الأمة على أن من لا يستطيع رمي الجمار لعذر، فإنه يُرمى عنه، ويجزيه.

٣- أجمعت الأمة على أن المشتري إذا اشترط لنفسه الخيار مدة معلومة فإنه يملك رد المبيع في تلك المدة.

الوحدة الثانية: المصدر الرابع: القياس

تعريف القياس

لغة: هو تقدير شيء على مثال شيء آخر وتسويته به.

اصطلاحاً: هو إلحاق فرع بأصل في الحكم؛ لتساويهما في العلة.

أركان القياس

- ١ - **الأصل:** هو ما ثبت حكمه بنص شرعي من الكتاب أو السنة، أو انعقد عليه الإجماع، ويُسمى (المقيس عليه).
- ٢ - **الفرع:** هو ما لم يرد في حكمه نص من الكتاب أو السنة، ولم ينعقد عليه الإجماع، ويراد تسويته بالأصل في الحكم، ويُسمى (المقيس).
- ٣ - **حكم الأصل:** هو الحكم الشرعي الذي ورد به النص، أو انعقد عليه الإجماع، واتصف به الأصل من: الحل، أو الحرمة، أو الندب، أو الكراهة، أو الإباحة، أو الصحة، أو الفساد.
- ٤ - **العلة:** هي الوصف المشترك بين الأصل والفرع، الذي أنبنى عليه حكم الأصل.

ومثال القياس: قياس المخدرات بكافة أشكالها على الخمر.

فالخمر أصل؛ لأنه ورد نص بحكمه وتحريمه، وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

أهمية القياس:

القياس هو المصدر الرابع من مصادر التشريع المتفق عليها بعد الكتاب والسنة والإجماع، وهذا هو مذ هب جمهور علماء المسلمين، فحيثما وقعت واقعة ولم نجد فيها حكماً بنص أو إجماع، نظرنا فيما يماثلها من الوقائع في العلة، فالحقنا بها في الحكم، ولذا فإنه من أوسع المصادر التشريعية فروعاً وتشعباً، وقد جعل الله تعالى القياس المصدر الذي تسد به الحاجة، وتستوفى به الأحكام.

مجال الاستدلال بالقياس:

- ١ - **أحكام غير معقولة المعنى:** "الأحكام التعبدية": وهي الأحكام التي استأثر الله بنفسه بعلم علماها، فلم تدرك عقولنا سبب شرعيتها أو وجه المصلحة فيها. ومثال ذلك: التيمم وصفته، وصلة ومواقيت الصلاة والصوم والحج، والمقدرات الشرعية: كعدد الركعات وأنصبة الزكاة. فهذا النوع من الأحكام لا يصح القياس فيه؛ لفقد أساس القياس وأحد أركانه وهو إدراك علة الحكم.
- ٢ - **أحكام معقولة المعنى:** وهي الأحكام التي أدركنا سبب شرعيتها ووجه الحكمة فيها، وعرفنا الوصف المناسب للحكم فيها، ومن هذا النوع أكثر الأحكام الشرعية، وهو الذي يجري فيه القياس.

أدلة حجية القياس

- ١ - **القرآن الكريم:** قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ آلُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَتَّوَلَى الْآبْصَارِ﴾. وموضع الشاهد: في الآية قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾ ووجه الاستدلال: أن الله بعدما ذكر ما حاق ببني النضير نظير خيانتهم لله ولرسوله.
- ٢ - **السنة:** ما رواه ابن عباس ؓ: أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أُمِّي نذرت أن تحج، فماتت قبل أن تحج، أفأحج عنها؟ قال: نعم، حُجِّي عنها. أرايت لو كان على أمك دين، أكنّت قاضيته؟ قالت: نعم. فقال: "أقضوا الله الذي له، فإن الله أحق بالوفاء". ووجه الدلالة: أن النبي ﷺ قد وجه أصحابه إلى إلحاق ما جاءوا يسألون عن حكمه بنظيره مما قد علموا حكمه، وهذا هو القياس.
- ٣ - **إجماع الصحابة:** أنهم اتفقوا على العمل بالقياس، ونقل ذلك عنهم قولاً وفعلًا.

الوحدة الثالثة: الاجتهاد والفتوى

أولاً: الاجتهاد

تعريف الاجتهاد:

لغة: الجهد، وهو الطاقة والوسع، والاجتهاد، هو بذل الوسع واستفراغ الطاقة في طلب الأمر.

اصطلاحاً: هو بذل الفقيه وسعه في استنباط حكم شرعي من دليله.

مشروعية الاجتهاد وحكمته:

لقد رتب النبي ﷺ أصحابه الكرام وعلمهم تعليماً يمكنهم من فهم النصوص ومعرفة أحكام الشرع في كل شأن من شؤون الحياة، ودرّبهم عملياً على الاجتهاد فيما يعرض لهم من الوقائع، ووعدهم بأن من اجتهد فقد أصاب الأجر، أخطأ في اجتهد أم أصاب، فقال ﷺ: "إذا حكم الحاكم فاجتهد، ثم أصاب، فله أجران. وإذا حكم فاجتهد، ثم أخطأ، فله أجر".

مجال الاجتهاد:

تنقسم الأحكام الشرعية بالنسبة إلى جواز الاجتهاد فيها إلى قسمين:

- ١ - **ما لا يجوز فيه الاجتهاد من الأحكام:** وهي الأحكام التي انعقد عليها إجماع الأمة، وهي على نوعين:

١- الأحكام الشرعية التي يكون مستند الإجماع فيها دليلاً قطعياً؛ كوجوب الصلوات الخمس، وصوم رمضان، والزكاة، والحج، والحدود، وغيرها من الأحكام الثابتة بصريح القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ المتواترة الصريحة.

ب- الأحكام الشرعية التي يكون مستند الإجماع فيها دليلاً ظاهرياً؛ كتحرير الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح، فمثل هذه الأحكام لا يسوغ لأحد أن يجتهد فيها، بل الواجب عليه اتباع ما انعقد عليه إجماع الأمة.

٢- ما يجوز فيه الاجتهاد من الأحكام: وهي الأحكام التي لم ينعقد عليها إجماع الأمة، وهي أحد نوعين:

أ- الأحكام الشرعية التي دلّ عليها دليل ظني في ثبوته أو دلالته: فقد يكون الدليل من السنة فيه اختلاف في صحته، فمن صحّحه حكم بموجبه، ومن اجتهد ولم يصحّحه لم يأخذ به.

ب- المسائل التي لم يرد في حكمها نص من الكتاب أو السنة: فمثل هذه المسائل هي الميدان الأوسع للاجتهاد الذي يُطلق عليه الاجتهاد بالرأي، فيجتهد الفقيه في البحث عن حكم هذه المسائل عن طريق القياس، أو عن طريق ما يرى حججه من الأصول المختلف فيها، مثل أحكام زراعة الأعضاء وطاقات الانتماء ونحوها.

شروط الاجتهاد

١- معرفة القرآن الكريم: لا بد للمجتهد أن يكون عالماً بالقرآن الكريم.

٢- معرفة السنة المطهرة: معرفة ما جاء من الأحكام من السنن القولية أو الفعلية أو التقريرية، ومعرفة مواضعها، وصحاحها وضعفها، مع الأهلية في الحكم عليها.

٣- معرفة مسائل الإجماع: حتى لا يفتي بخلاف ما وقع الإجماع عليه.

٤- معرفة العربية: معرفة لسان العرب، وأخذ علوم اللغة العربية منه، وهذه المعرفة من أهم ما تتوقف عليه ملكة الاجتهاد.

٥- معرفة القياس: لأنه أساس الاجتهاد وأصل الرأي.

ثانياً: الاجتهاد الجماعي والمجامع الفقهية

الاجتهاد الجماعي: هو ما يشترك فيه علماء الفقه مع العلماء المسلمين الثقات المختصين في المجال المراد البحث فيه، ليتم تصور المسألة تصوراً صحيحاً، ولا يمكن للفقيه أن يجتهد في تلك المجالات إلا إذا ألمّ بعلوم تلك القضايا، واستوعبها وتصورها، وعرف التكييف الفقهي لها، مع الموازنة بين المصالح والمفاسد المترتبة عليها للوصول إلى الحكم الشرعي في ضوء الأدلة والمقاصد الشرعية.

ومن هنا أصبح الاجتهاد الجماعي ضرورة ملحة وحاجة أكيدة، لكثرة مستجدات هذا العصر ومكتشفاته، ولتشعب العلوم وتفرعها وتداخلها.

والاجتهاد الجماعي يجعل الاجتهاد أكثر دقة، وأقرب إلى مقصود الشارع الحكيم في إيجاد الأحكام والحلول للمشكلات والنوازل المستجدة.

ولهذا تأسست في هذا العصر العديد من المجامع الفقهية، فمن أقدمها:

١- مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بالقاهرة.

٢- مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

٣- هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية.

٤- مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي في جدة.

وهذا الاجتهاد الجماعي لا يقضي على اجتهاد الأفراد ولا يغني عنه، ذلك أن الذي ينير الطريق للاجتهاد الجماعي هو البحوث الأصلية المخدومة التي يقدمها أفراد المجتهدين، لتناقش مناقشة جماعية ويصدر فيها بعد البحث والحوار قرار جماعي بالإجماع أو بالأغلبية.

ثالثاً: الفتوى والمفتي

تعريف المفتي:

لغة: الفتوى والفتيا بمعنى واحد، وهو: الجواب عما يُشكل من الأحكام، وأصل كلمة الفتوى مأخوذة من الفتى؛ وهو: الشاب القوي البين الفتوة، فكان المفتي يقوي ببيانه ما خفي من الحكم كما يقوي الشاب بفتوته ما ضعف.

اصطلاحاً: إخبار بحكم الله تعالى عن دليل شرعي لمن سأل عنه في أمر نازل.

الفرق بين الفتوى والقضاء:

الفتوى	القضاء
١ بيان حكم الله تعالى في المسألة المُستفتى فيها	إنشاء لحكم شرعي بين المتخاصمين
٢ لا يلزم للمستفتي العمل بها ما لم يطمئن قلبه إليها	ملزمٌ للمحكوم عليه ولو رآه حكماً خاطئاً
٣ أعظم خطراً لأنها تعد تشريعاً عاماً في حق المستفتي وغيره	خاص لا يتجاوز المتخاصمين

شروط المفتي:

يعد الإفتاء أخص من الاجتهاد، لأن الاجتهاد استنباط الأحكام، سواء أكان سؤال في موضوعها أم لم يكن، أما الإفتاء فلا يكون إلا إذا كان ثمة سؤال عن واقعة وقعت.

١- أن تجتمع فيه شروط الاجتهاد.

٢- الديانة والعدالة والورع.

٣- معرفة واقعة الاستفتاء، وحال المستفتي، وعرف المجتمع الذي يعيش فيه.

٤- التيقظ ودقة الملاحظة.

٥- عدم التساهل في الفتوى.

شروط المستفتي:

- ١- يجب على المستفتي أن يتحرى في استفتائه الأغزر علماً والأكثر ديانة من أهل العلم المتأهلين للفتوى.
- ٢- أن يكون سؤاله عما ينفعه في دينه ومعاشه ومعاده، وأن يتجنب من الأسئلة ما كان على وجه التعنت والتكلف، أو كان بقصد الجدل والمماحكة .
- ٣- ينبغي للمستفتي التأدب مع المفتي، وأن يجله في خطابه وسؤاله .
- ٤- يجب على المستفتي أن يعرض قضيته بوضوح بلا تلبيس ولا تمويه، ولا يخفي من عناصرها ماله تأثير في تكييف القضية المسؤول عنها .

بسم الله الرحمن الرحيم

